مداد
مركز دمشق للأبحاث والدراسات
Damascus Center For Research and Studies

دراسات سياسية

الإِيَالَةُ والعِيَالَةُ:

الثِّقَةُ والأَمَلُ والجَهَالَة والمُخَاطَرَةُ في الحَربِ السُّورِيَّةِ

د.عقيل سعيد محفوض

أيار/مايو ٢٠١٩

مداد ...

مؤسسةٌ بحثيةٌ مستقلّة تأسّست عام ٢٠١٥، مقرّها مدينة دمشق، تُعنى بالسياسات العامّة والشؤون الإقليمية والدولية، وقضايا العلوم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقانونية والعسكرية والأمنية، وذلك بالمعنى المعرفيّ الشّامل (نظريّاً، وتطبيقيّاً)، بالإضافة إلى عنايتها بالدراسات المستقبلية/الاستشرافية، وتركيزها على السياسات والقضايا الرّاهنة، ومتابعة فاعلي السياسة المحلية والإقليمية والدولية، على أساس النّقد والتقييم، واستقصاء التداعيات المحتملة والبدائل والخيارات الممكنة حيالها.

جميع حقوق النشر محفوظة © ٢٠١٩

سورية – دمشق – مزة فيلات غربية – خلف بناء الاتصالات – شارع تشيلي – بناء الحلاق **85**

www.dcrs.sy

info@dcrs.sy

مداد
مركز دمشق للأبحاث والدراسات

الإِيَالَةُ والعِيَالَةُ:

الثِّقَةُ والأَمَلُ والجَهَالَةُ والمُخَاطَرَةُ في الحَربِ السُّورِيَّة

عقيل سعيد محفوض

مركز دمشق للأبحاث والدراسات

مِداد

المحتويات

ملخص.....4

مقدمة.....7

أولاً- في المقاربة.....10

1. أولوية الانتقاد على الاعتقاد.....10
2. النظر والعمل.....11
3. الغموض الأصلي واللانمطية.....11
4. أعماق الظاهرة.....13

ثانياً- الجيد الكامن في السيء.....14

ثالثاً- الثالث المرفوع!.....17

رابعاً- الضوء الذي في آخر النفق.....19

1. خطاب الأمل.....19
2. كيف كنا وكيف صرنا!.....21
3. قطار آخر النفق!.....22
4. ما باليد حيلة.....23
5. ما بعد الحرب هو الحرب.....24
6. خطاب الرئيس الأسد.....25

خامساً- ستار الجهالة.....27

1. الستار الصالح.....27
2. ستار الغفلة.....28
3. مرة أخرى، خطاب الأسد.....29
4. ميزان التبعات.....29
5. ميزان الصدق-الكذب.....30

سادساً- المخاطرة.....31

سابعاً- لينين الحكيم.....33
ثامناً- الإشارات والتنبيهات.....35
خاتمة.....38
المراجع.....40

ملخص

أدت التطوراتُ في الحربِ السوريّة إلى نوعٍ من التحوّل في قراءة وتقدير شريحة قد تكون كبيرة من السوريين لحالة الحرب الدَّائرة في بلدهم، ومن ثم للموقف بين المجتمع والدولة، من أولوية نسبية للعوامل الخارجية إلى أولوية نسبية للعوامل الداخلية، بدا ذلك في صورة واضحة على شكل انتقاداتٍ حادّةٍ وغير مسبوقة للسياسات الحكومية ونمط استجابتها للحرب. الأمر الذي وضع فواعل السياسة أمام مدارك تهديد كبيرة، وجَدَّدَ الأمل لدى أعداء النظام السياسي والدولة بإمكانية مواصلة الحرب بأدوات أخرى لتحقيق ما لم تحققه الحرب نفسها.

كيف حدث ذلك التحول في الموقف، ولماذا لم يتمكن أهل الإيالة (النظام السياسي والدولة) من بناء مستوى أكبر من "الثقة" بينهم وبين أهل العيالة (فواعل المجتمع والاقتصاد والثقافة وغيرها)، ولماذا لم يتمكنوا من "الموازنة" بين سقف التوقعات المرتفع وحدودِ القدرات والإمكانات المنخفضة نسبياً، وكيف يمكن تفسير "انكشاف" المشهد في سورية على مصادر تهديد غير مسبوقة، وهل كان "الجهل" بالواقع أو "عدم معرفته" بشكل دقيق فرصة للنظام السياسي والدولة بالفعل، ليتحول الموقف بعد ذلك إلى تهديد بسبب اتضاح الرؤية؟

وما الاستجابة الممكنة حيال ذلك التهديد، والحديث هنا يتناول رؤية ومنطق استجابة وليس برنامجاً أو خطة استجابة؟ وفي ظلِّ ضيق الخيارات والبدائل وتراجع قدرة البلد وقدرة (وربما إرادة) الحلفاء على الفعل، وفي حال استمر انحباس السياسات، ربما تكون "المخاطرة" –بما هي إقدام على تغيير الرؤية والنمط– أهم استجابة ممكنة في الوقت الراهن.

لا تصدُر التجاذبات الحاصلة بين الإيالة (الدولة) والعيالة (المجتمع) تجاه تحديات الحرب من رؤيتين مختلفتين للحرب في سورية، لكن المرجعية الواحدة غير كافية لتدارك التوتر وربما الخلاف، إذ من الممكن أن تحدث اختلافات وتبدلات تضع الطرفين في مواجهة لا تحمد عقباها.

يبدو أن حجم وطبيعة التحديات في المشهد السوريّ لم تكن واضحة أو معروفة لدى شريحة قد تكون كبيرة من المتلقين السوريين وحتى لدى جانب من فواعل السياسة وبيروقراطية السياسة العامة والحكم، ما تسميه الدراسة أثرَ "ستارِ الجهالة" باستعارة تعبير معروف لـ جون رولز، غير أنَّ "انكشاف" المشهد عن تحديات كبيرة من الداخل والخارج، سبّب حالة من الإحباط وضَعَّفَ

الثقة بالسياسات الحكومية، وزاد من حالة من اللايقين تجاه التطورات الراهنة والمحتملة للأوضاع في سورية.

وقد وصف الفيلسوف السلوفيني سلافوي جيجيك الحرب في سورية بأنها "صراع زائف"، بمعنى أن "لا موضوعَ" سوريّاً للصّراع، أو لا فواعل سورية حاضرة على طرفي الصراع. ويمكن القول –بشيء من التعميم الحذر– إنَّ البعد السوريّ هو أقل الأبعاد حضوراً وتأثيراً في الحرب الدائرة اليوم، ما يحيل إلى أن ديناميات استمرار الحرب هي ديناميات إقليمية ودولية بصورة رئيسة، وهذا إذ يطمئن من جهة أن لا فواعل سورية كبيرة منخرطة بقوة في الحرب، إلا أنه من جهة أخرى يثير مخاوف كبيرة من أن الفواعل الدولية وإلى حدٍّ ما الإقليمية هي المتحكمة بالحرب.

إنَّ "تجسير" أو "تدبير" الفجوة بين أهل الإيالة/الدولة وأهل العيالة/المجتمع يتطلب توافر وتضافر جهود كبيرة على هذا الصعيد، بما في ذلك تفكيك سُتُر وحُجُب الجهالة والجهل وسوء الفهم والتقدير بين الطرفين.

لعلَّ المهمة الأكثر إلحاحاً وأهمية وأولوية وصعوبة في سورية اليوم هي تغيير النمط، والإقدام على التفكير من خارج الأطر التقليدية، أي استعداد فواعل الحكم وأهل الإيالة والعيالة معاً لتدبر سبل غير نمطية للتعاطي مع تحديات الحرب وتحديد أولويات ما بعد الحرب.

إنَّ "تجسير" أو "تدبير" الفجوة بين أهل الإيالة/الدولة وأهل العيالة/المجتمع يتطلب توافر وتضافر جهود كبيرة على هذا الصعيد، بما في ذلك تفكيك سُتُر وحُجُب الجهالة والجهل وسوء الفهم والتقدير بين الطرفين، ومراجعة نظم القيم وأنماط التفكير حول مفاهيم أساسية، مثل: السلطة والدولة والمجتمع والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية وغيرها. وقد أظهرت التحولات العملية والمقاربات النظرية والفكرية في عالم اليوم أن معنى السلطة والدولة يتطلب مراجعة عميقة وملحة، إذ لم تعد مفاهيم السلطة والقوة والمعنى على حالها.

إن التغيير مرهون بالإرادة والاستعداد والإقدام على الفعل، بدءاً من مراجعة المدارك والسياسات، إلى اختيار بدائل وخطط استجابة، إلى إقامة جسور التواصل والتراسل والتفاعل بين الإيالة والعيالة أو الدولة والمجتمع، موضوع هذه الدراسة، بالإضافة إلى أنماط التفاعلات الإقليمية والدولية، إذا كان لا يزال ثمة فرصة لفعل شيء قبل أن يصدمنا قطار جيجيك.

تتألف الدراسة من مقدمة وثمانية محاور، أولاً- في المقاربة ويتضمن: أولوية الانتقاد على الاعتقاد، والنظر والعمل، الغموض الأصلي واللانمطية، أعماق الظاهرة، ثانياً- الجيد الكامن في السيء، ثالثاً- الثالث المرفوع! رابعاً- الضوء الذي في آخر النفق ويتضمن: خطاب الأمل، وكيف كنا وكيف صرنا! وقطار آخر النفق! و"ما باليد حيلة"، وما بعد الحرب هو الحرب، وخطاب الرئيس الأسد؛ خامساً- ستار الجهالة ويتضمن: الستار الصالح، وستار الغفلة، ومرة أخرى، خطاب الأسد، وميزان التبعات، وميزان الصدق-الكذب، سادساً- المخاطرة، سابعاً- لينين الحكيم، ثامناً- الإشارات والتنبيهات، وأخيراً خاتمة.

مقدمة

أدّت التطوراتُ في الحرب السورية إلى نوع من التحول في قراءة وتقدير شريحة قد تكون كبيرة من السوريين لحالة الحرب الدائرة في بلدهم، ومن ثم للموقف بين المجتمع والدولة، من أولوية نسبية للعوامل الخارجية في قراءة الحرب إلى أولوية نسبية للعوامل الداخلية، هذا تحول يضع البلاد في حالة من الغموض واللايقين.

بدا التحول المشار إليه في صورة واضحة على شكل تحول في المزاج العام –وهذا تقدير ولا يستند إلى دراسات متخصصة أو مسوح ميدانية– وانتقاداتٍ حادة وغير مسبوقة للسياسات الحكومية ونمط استجابتها لواقع وتحديات الحرب، وبخاصة أزمة إمدادات الطاقة التي ظهرت في نيسان/أبريل 2019، إذ إنَّها أخفقت في التعاطي الجاد والناجع والسريع معها، كما أنها أخفقت – وهذا هو الأهم!– في تقديم تفسير جاد وناجع ومقنع بشأنها.

وقد وجد خصوم وأعداء النظام السياسيّ والدولة في ذلك "التحول" عاملاً مناسباً للضغط على النظام السياسي والدولة في سورية، وفرصة لاختبار أدوات أخرى. ولا يكون "التحول" المذكور مجرد حدث مُنْبَتِ الصلة عن سياق الحرب نفسها، وهو إذ يمثل مدخلاً لمواصلة سياسات الحرب، إلا أنه كان هو مخرج أو نتيجة من مخرجات أو نتائج الحرب نفسها، ولكن من دون أن تكون هذه النقطة الأخيرة هي بؤرة التركيز في هذه الدراسة.

حدث نوع من "الالتباس" أو "الاختلال" في نمط "التواصل" و"التراسل" بين الدولة والمجتمع أو بين أهل الإيالة وأهل العيالة[1]، جَدَّدَ لدى أعداء النظام السياسيّ والدولة الأمل بإمكانية مواصلة الحرب بأدوات أخرى، وأنَّ الحصار الاقتصاديّ والسياسيّ والإعلاميّ يمكن أن يعزز "التحول" في الموقف بين الإيالة والعيالة أو بين الدولة والمجتمع، بما يمكن أن يحقق ما لم تحققه الحرب نفسها، وهذا ما تردده فواعل الرأي والسياسة في مجتمع الموالاة أيضاً؛ وإذا لم يتمكن أهل الإيالة

[1] استعير عنوان الورقة من نص جميل للكاتب الجزائري محمد شوقي الزين، غير أن معاني كلمات "إيالة" و"عيالة" مختلفة في الحالتين، وكذلك سياق الكتابة والبحث. انظر: محمد شوقي الزين، **الإيالة والعيالة: نحو تأويلية في اعتبار سؤال السياسة**، دراسة (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، آب/أغسطس 2014). وترد "الإيالة" في دراستنا بمعنى السياسة والإدارة والحكم والمعنى، وأما العيالة فتعني المجتمع والديمغرافيا والاقتصاد وتوفير مقوّمات ومتطلبات الحياة الرئيسة من غذاء ومسكن وصحة ومعاش.

(النظام السياسي والدولة) من قراءة الموقف بالشكل الصحيح، ومن وضع سياسات وبدائل ناجعة، فمن المحتمل أن يخسروا بالسياسة والحصار ما لم يخسروه في الحرب.

كيف حدث ذلك التحوّل في الموقف، ولماذا لم يتمكن أهل الإيالة (النظام السياسي والدولة) من بناء مستوى أكبر من "الثقة" بينهم وبين العيالة (فواعل المجتمع والاقتصاد والثقافة وغيرها)، ولماذا لم يتمكنوا من "الموازنة" بين سقف التوقعات المرتفع وبين حدود القدرات والإمكانات المنخفض نسبياً، وكيف يمكن تفسير انكشاف المشهد في سورية على مصادر تهديد غير مسبوقة، وهل كان "الجهل" بالواقع أو "عدم معرفته" بشكل دقيق فرصة بالفعل، ليتحوّل الموقف بعد ذلك إلى تهديد بسبب اتضاح الرؤية؟ وما الاستجابة الممكنة حيال ذلك التهديد، والحديث هنا يتناول رؤية ومنطق استجابة وليس برنامجاً أو خطة استجابة؟ وفي ظلّ ضيق الخيارات والبدائل وتراجع قدرة البلد وقدرة (وربما إرادة) الحلفاء على الفعل، وفي حال استمر "انحباس" السياسات، ربما تكون "المخاطرة" –بما هي إقدام على تغيير الرؤية والنمط– أهم استجابة ممكنة في الوقت الراهن.

تحاول الورقة تقصّي التحوّل في الموقف بين الإيالة والعيالة من الأمل والتفاؤل بانتهاء الحرب والانتصار فيها أو التوصل إلى تسوية مقبولة حولها إلى اليأس والإحباط والتخلي؛ وكيف أن "الثقة" بدت بمثابة "الثالث المرفوع" –كما يقول المناطقة– في العلاقة بين المجتمع والدولة، أو بين الإيالة والعيالة، والأمل وخطاب انتهاء الحرب وخطاب ما بعد الحرب رفع سقف التوقعات لدى الناس تجاه السياسات الحكومية والدولة بأكثر من قدرتها على الاستجابة لها، الأمر الذي انعكس تدهوراً حاداً في مؤشرات وتقديرات الثقة، وجعل الوزن النسبي لعوامل الحرب تميل للداخل أو للخلل في الاستجابة أكثر منه للخارج وعوامل التدخل والعداء والاستهداف المختلفة.

تتألف الدراسة من مقدمة وثمانية محاور، أولاً- في المقاربة ويتضمن: أولوية الانتقاد على الاعتقاد، والنظر والعمل، "الغموض الأصلي" و"اللانمطية"، أعماق الظاهرة، ثانياً- الجيد الكامن في السيء، ثالثاً- الثالث المرفوع! رابعاً- الضوء الذي في آخر النفق ويتضمن: خطاب الأمل، وكيف كنا وكيف صرنا! وقطار آخر النفق! و"ما باليد حيلة"، وما بعد الحرب هو الحرب، وخطاب الرئيس الأسد؛ خامساً- ستار الجهالة ويتضمن: الستار الصالح، وستار الغفلة، ومرة أخرى، خطاب الأسد، وميزان التبعات، وميزان الصدق-الكذب، سادساً- المخاطرة، سابعاً- لينين الحكيم، ثامناً- الإشارات والتنبيهات، وأخيراً خاتمة.

ولا بدَّ من ملاحظة أنَّ الدراسة لا تطرح برامج سياسات ولا كيفيات للخروج من الحرب أو لمرحلة ما بعد الحرب، فهذا خارج أهدافها وموضوعها. حسبها أن تحاول تقديم تحليل وقراءة موضوعيين ما أمكن، وهي لا شك منحازة بداهةً ورؤيةً لسورية، إيالةً وعيالةً، ومكانةً ودوراً ورسالةً في المنطقة والعالم. ولا يمكن للبحث والتفكير إلا أن يكونا أداة لتخير أنماط البدائل والاستجابات القائمة والممكنة لتحديات الحرب، مثلما أنه كان من مداخل الحرب أيضاً.

أولاً- في المقاربة

تمثل الثقافة والمعرفة، بوصفهما نظم قيم وفهم وإدراك، "جهاز توجيه" رئيس في تلقي وقراءة وتقدير الأمور، وفي رسم الاتجاهات والمواقف والسياسات[2]. وتمثل الدراسات الثقافية بمقارباتها المختلفة ومناهجها المركبة والمتداخلة إطاراً ومدخلاً لتناول الحدث السوري بالتحليل والتفكيك، وبصورة خاصة المفردات الرئيسة لهذه الدراسة، وهي الثقة، والأمل، والجهالة، والمخاطرة، وأنماط الاستجابة الممكنة أو ما يحتاجه السوريون اليوم لمواجهة حالة أو الخروج منها.

1. أولوية الانتقاد على الاعتقاد

تنطلق الدراسة في تناول الموضوع من أولوية الانتقاد على الاعتقاد، بتعبير مستعار من بول ريكور[3]، أي أولوية القراءة النقدية وتفكيك المدارك والصور النمطية، بوصف هذا الأمر فعلاً لازماً بالمعنى الثقافيّ والمعرفيّ، وبالمعنى السياسي والاجتماعي والاقتصادي، إلخ، والانتقاد هنا ليس هدماً، كما أن التفكيك ليس نقضاً، فهذا خارج مهام وأولويات الدراسة وكاتبها، إنما هو في جانب رئيس منه نوع من الكشف عن المضمر والكامن في الظاهرة/الحدث السياسي، هو في هذه الدراسة أشبه بفعل استعادة وتذكير بأوليات وبداهات سياسية وتاريخية وسوسيولوجية من تاريخ سورية ومن تواريخ غيرها من الأمم والشعوب والدول حول العالم، بالأخص التجربة الروسية بعد ثورة تشرين الأول/أكتوبر 1917، كما سيتضح لاحقاً. وإعادة تدقيق في مفاهيم وخبرات واستخلاصات سياسية وتاريخية حكيمة وجريئة بدت "مهجورة" في عالم اليوم، ولكنها لا تزال صالحة من حيث المنطق الذي أنتجها وحث عليها واجترحها ومضى في تطبيقها، مثل تجربة فلاديمير لينين في بناء الدولة ما بعد الاضطرابات والأزمات الكبرى والحرب.

---

[2] حول الثقافة والسياسة والقوة، انظر مثلاً: جيل دولوز، **المعرفة والسلطة: مدخل لقراءة فوكو**، ترجمة: سالم يفوت (بيروت-الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1987)؛ وإدوارد سعيد، **الثقافة والامبريالية**، ترجمة: كمال أبو ديب (بيروت: دار الآداب، ط1، 1997).

[3] بول ريكور، **الانتقاد والاعتقاد**، ترجمة: حسن العمراني (الدار البيضاء: دار توبقال، ط1، 2011).

2. النظر والعمل

لا تصدرُ التجاذبات الحاصلة بين الإيالة والعيالة، أي الدولة والمجتمع، تجاه تحديات الحرب عن رؤيتين مختلفتين للحرب في سورية[4]، لا أسبابها ولا طبيعتها، وهما على العموم في خط واحد في هذه الحرب، لكن المرجعية الواحدة غير كافية لتدارك التوتر وربما الخلاف، لأن أنماط القراءة وتقدير الاستجابة قد تتعرض لاختلافات وتبدلات أيضاً، ما يمكن أن يضع الطرفين أو المجالين أو فواعل كلٍّ منهما في مواجهة أو قطيعة أو تباعد مع الآخر. وهذا ما يمثل حيز تباعد وتجاذب وربما حيّز صراع، وحيز نفاذ وتغلغل واختراق من قبل فواعل الخارج بصورة أكبر.

إذا قامت تجاذبات وتوترات وربما مواجهات بين فواعل لديها المرجعية نفسها، مثل الإيالة والعيالة في سورية، فلا بد من القيام بمراجعة لواحدة من الاثنتين أو الاثنتين معاً، المرجعية ونمط تلقيها وهل حدث فيها تغير أو تحول.

وإذا قامت تجاذبات وتوترات وربما مواجهات بين فواعل لديها المرجعية نفسها، مثل الإيالة والعيالة في سورية، فلا بد من القيام بمراجعة لواحدة من الاثنتين أو الاثنتين معاً[5]، المرجعية ونمط تلقيها وهل حدث فيها تغير أو تحول، وكذلك التطبيق أو الواقع العملي والرهانات والسياسات الموجهة والمحددة لموقف كل طرف. وهذا من المهام "المهدورة" أو "اللامفكر فيها" أو "المتنكر لها" حتى الآن! وليس المطلوب "تصفيح" أو "تطريق" أو "قسر" إحداهما أو كليهما على "تماثل" أو "تطابق" الأخرى، وإنما "ضبط" و"إدارة" العلاقة بينهما، ما أمكن ذلك.

3. الغموض الأصلي واللانمطية

يبدو أن حجم وطبيعة التحديات في المشهد السوريّ لم تكن واضحة أو معروفة لدى شريحة كبيرة من المتلقين السوريين، وحتى لدى جانب من فواعل السياسة وبيروقراطية السياسة العامة

[4] الحديث هنا هو عن مجتمع الموالاة أو مجتمع الدولة مقابل ما يمكن تسميته بـ "مجتمع المعارضة". كما أن القول بمرجعية واحدة يحيل "توافقات" عامة في فهم الحدث السوري، وليس بالضرورة وجود "براديغم" أو مدارك إرشادية وتفسيرية واحدة بالتمام، إذ إن منطق النظام السياسي أو السلطة يختلف بالضرورة عن منطق المجتمع أو الفواعل الاجتماعية المؤيدة أو المعارضة لها، وثمة ضمن كل منها تباينات واختلافات في تقدير الموقف وفي تقدير الاستجابات الموائمة حياله.

[5] انظر بكيفية عامة: ماكس هوركهايمر، **النظرية التقليدية والنظرية النقدية**، ترجمة: ناجي العونلّي (بغداد-بيروت: منشورات الجمل، ط1، 2015)، ص 299.

والحكم، وهذا ما تسميه الدراسة أثر "ستار الجهالة" باستعارة تعبير معروف لـ جون رولز[6]، ولو أنها تورده بكيفية مختلفة، إذ انها لا تحيل إلى "جهالة أصلية" أو "وضع أصلي" كما لدى رولز، إنما إلى "غموض" أو "عدم معرفة" أو "غياب الإدراك"، وهو ليس تاماً أو أصلياً بطبيعة الحال، بأنماط وطبيعة وحجم ومصادر التهديد القائمة أو المحتملة.

غير أنَّ "انكشاف" المشهد عن تحديات كبيرة من الداخل والخارج، سبب حالة من الإحباط وضَعَّفَ الثقة بالسياسات الحكومية –كما سبقت الإشارة– وزاد من حالة من اللايقين تجاه التطورات الراهنة والمحتملة للأوضاع في سورية، وربما عزز أو أظهر وجود مدارك أكثر استعداداً للتعبير عن تقديرات ورهانات مختلفة عما لدى النظام السياسي والدولة، ومختلفة في ما بينها أيضاً داخل مجتمع الموالاة أو فواعله، ومثل ذلك أو أقل لدى فواعل النظام السياسي والدولة. وهذا يتطلب المزيد من التدقيق والتقصي.

يفترض المشهدُ السوريُّ بتفاعلاته ورهاناته المختلفة، مقاربة "لا نمطية" في القراءة[7]، ثم في التفكير السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ الخ ولو أنَّ ثقل الأحداث وجسامة التحديات يتطلبان من الإيالة والعيالة معاً، التفكير بتدبر سبل للخروج من الأزمة، وأنَّ تغيير الرؤية والمقاربة يتطلب شجاعة وإقداماً، بل و"مخاطرة" أيضاً، من أجل تحويل التهديد إلى فرصة، ما أمكن.

وتحاول الورقة التفكير في ما يَلزَم السوريين اليوم على هذا الصعيد، بالإشارة إلى دروس السياسة والمقاومة الأولى في بدايات القرن العشرين مع الثورة السورية الكبرى 1925، وتجارب لينين 1917 في بناء السياسة والدولة ومواجهة المخاطر ومصادر التهديد في الداخل والخارج.

---

[6] يقول جون رولز في معنى "ستار الجهالة" أو "حجاب الجهالة" إنَّ الأشخاص لا يعرفون مكانتهم في المجتمع، ولا عرقهم ولا جنسهم، ولا حتى خلفياتهم الاجتماعية ولا مواردهم، ولا مصالحهم الشخصية، ولا مستواهم المعرفي ولا قدراتهم الفردية الخ ما يسميه "الوضع الأصلي" أو "الوضعية الأصلية"، التي تضعهم في "جو محايد" يهيئهم للتفاوض ومن ثم التوافق على المبادئ تحكم المؤسسات التي سيوافقون على العيش في ظلها. انظر: جون رولز، **العدالة كإنصاف: إعادة صياغة**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مراجعة: ربيع شلهوب (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009)، ص 98-105.

[7] في مفهوم قراءة الحدث السوري، انظر مثلاً: عقيل سعيد محفوض، **ضفدع نيتشه؟ مقاربات معرفية في قراءة الأزمة السورية**، دراسة (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تشرين الأول/أكتوبر 2017).

4. أعماق الظاهرة

ثمة حاجة ماسة لتحليل الأوضاع الراهنة والإضاءة على "النكوص" الحاصل في توقعات الناس حيال الحرب، وكيف أن ذلك يمثل أحد مصادر التهديد الرئيسة، وقد يكون أبلغ أثراً وخطراً من أي مصادر تهديد أخرى شهدتها وواجهتها سورية منذ بداية الحرب، والتنبيه إلى أن ثمة مدارك ارتدادية بالغة الحساسية والخطورة، ما يتطلب استجابة عاجلة وعاقلة، أو عاقلة وعاجلة.

ليس المطلوب من أي دراسة أو قراءة للحرب أن تجابه أو تواجه نزعة النقد والرفض الظاهرة والمتزايدة في المجتمع التي يتم التعبير عنها في وسائط الميديا المختلفة، إنما التركيز على أن من الأفضل أن يتجه النقد أو جانب منه إلى "أعماق الظاهرة" أو "أعماق الحدث" مثل:

الغوص إلى أعماق الظاهرة، لا يعفي الإيالة أو فواعل السياسة من المسؤولية، إلا بصورة مؤقتة، مع أفضلية التركيز على المعرفة والفهم وتخصيص الموارد والشروع بالعمل، هذا هو سبيل البلد للخروج من حرب مهولة أخذت منه الكثير.

- الرهانات الظاهرة والمضمرة لمختلف فواعل الحرب، وتقصّي الجهود المبذولة (أو غير المبذولة!) من قبل فواعل السياسات في سورية (وحلفائها)، وهل تأتي الاستجابات على قدر التحديات، وما سبل الاستجابة لدى العيالة؟
- تشجيع استجابات جادة وعميقة ومديدة ما أمكن، من قبل فواعل الدولة والمجتمع أو الإيالة والعيالة.

سيبدو ذلك كما لو أنه عكس الاتجاه العام (أي الانتقاد) في الموقف من إخفاق السياسات أو تعثرها أو عدم استعدادها للمواجهة، ولا بد أن أعترف بأن هذا الأمر صحيح تماماً، لأن الأولوية في الوقت الراهن هي للتمسك بالبديهيات، والنظر في جذر أو أصل الموضوع، على اختلاف قراءاتنا له وتقديراتنا بشأنه، إذن، فإن المسألة هي عبارة عن قراءة وتقدير واقتراح وليس تمثلاً لإيديولوجيا معينة وإسقاطها على الواقع.

لكن الغوص إلى أعماق الظاهرة، لا يعفي الإيالة أو فواعل السياسة من المسؤولية، إلا بصورة مؤقتة، وهو نوع من التأجيل أو حتى التخفيف في توجيه اللوم، مع أفضلية التركيز على المعرفة والفهم وتخصيص الموارد والشروع بالعمل، هذا هو سبيل البلد للخروج من حرب مهولة أخذت منه الكثير، ولا شك في أنها كشفت له وفيه المزيد والمزيد من الطاقات والآمال والتطلعات.

ثانياً- الجيد الكامن في السيء

ينقل الفيلسوف السلوفيني سلافوي جيجيك عن الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين قوله: «إنَّ التَفَكُّر هو الشجاعة في اليأسِ»[8]، كيف؟ يقول جيجيك إنَّ ذلك «عبر إدراك الصلة الوثيقة بين اللحظة التاريخية وعلاقته بالزمن الذي نعيشه، فبالتالي حتى أن أكثر القراءات التشخيصية تدعو للتشاؤم، ولكنها عادة تُختتمُ بتصورِ الوهمْ في أنَّ النورَ ينتظرنا آخر النفق. فالشجاعة الحقيقية لا تكمن في أنّ نتصورَ بديلاً، ولكن في قبول عواقب عدم وجود بديل ... فلا يوجد بديل تقليديّ يمكن التعرف عليه وتحديده بسهولة. وحلمُ البدائل هو علامة على الجُبْن التنظيريِ، فهي بمثابة صناعة صنم يُعِيقُنا عن التفكير من داخل مأزق طريقنا المسدود، وسيحدث ما يحدث لا محالة».[9]

عودة إلى جورجيو أغامبين إذ يقول: «شجاعة اليأس. أليس هذا أقصى درجات التفاؤل؟»[10]، لابد من التنبيه إلى المعاني والدلالات الكامنة في العبارة، إذ ليس المقصود هو تمجيد اليأس أو الاحتفاء به، ونعني بذلك اليأس بما هو قوة سلبية تدعو للاستلام والوقوعية (التسليم بالواقع)، وأحياناً ما تدعو للانتحار[11].

---

[8] Slavoj Žižek, "Like a thief: Slavoj Žižek and the illusions of hope, by Julius Gavroche", autonomies, 4 January 2018. http://autonomies.org/2018/01/like-a-thief-slavoj-zizek-and-the-illusions-of-hope/

المقال نشره جيجيك في مجلة نيوفو الفرنسية والترجمة الإنكليزية أعلاه. انظر الترجمة العربية للمترجم نفسه لكن بعنوانين مختلفين وفي موقعين مختلفين: سلافوي جيجيك، "سيأتي كَلِصٍ في الليل: سلافوي جيجيك ووهم الأمل"، ترجمة: حسن الحجيلي، **موقع حكمة**، 24 نيسان/أبريل 2018. http://bit.ly/2WEG8Vc

سلافوي جيجك، "سلافوي جيجيك بين أوهام الأمل وشجاعة اليأس"، ترجمة: حسن الحجيلي، **موقع ساقية**، دون تاريخ. http://bit.ly/30c5Anl

وستكون الإشارة بعد ذلك إلى نص الترجمة العربية في موقع "حكمة".

[9] سلافوي جيجيك، "سيأتي كَلِصٍ في الليل: سلافوي جيجيك ووهم الأمل"، ترجمة: حسن الحجيلي، **موقع حكمة**، مرجع سابق. ولمزيد من الاطلاع على آراء جيجيك انظر مثلاً: أحمد عبد الحليم عطية، "سلافوي جيجيك المهاجر إلى صحراء الإيديولوجيا"، **مجلة الاستغراب (بغداد)**، العدد 6، السنة 2، شتاء 2017، ص 270-290؛ وكريستوفر كول وانت مع بيرو، **مدخل إلى سلافوي جيجيك**، ترجمة: حسام الدين محمد (روما: منشورات المتوسط، 2016).

[10] سلافوي جيجيك، "سيأتي كَلِصٍ في الليل: سلافوي جيجيك ووهم الأمل"، مرجع سابق.

[11] انظر بصورة عامة: إميل دوركهايم، **الانتحار**، ترجمة: حسن عودة (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011)؛ وملاحظات جورجيو أغامبين حول ذلك في: جورجيو أغامبين، **حالة الاستثناء، الإنسان الحرام**، ترجمة: ناصر إسماعيل (القاهرة: مدارك للأبحاث والنشر، 2015)، ص 158.

هذا النمط من اليأس هو نوع من الهزيمة، بل إنَّ ما يجري في المنطقة العربية والشرق الأوسط، ومنه المشهد السوري، هو نوع سيل من التدفقات والمدارك التي تدفع المجتمع وفواعل الرأي والسياسة والاجتماع إلى اليأس، يبدو اليأس نمطاً من إيديولوجيا يراد تعزيزها وتعميمها، بل إنَّ سيل الهزيمة والاستسلام الجارف يجتاح المنطقة، بوصفه الاستجابة الممكنة أو المثلى للتحديات الراهنة[12]، ويمكن القول بشيء من التعميم الحذر إن ذلك يسم إلى حدٍّ كبير المشهد العالمي برمته[13].

ثمة يأس آخر، يتحدث عنه سلافوي جيجيك، وهو ما تجد تمجيداً له في كتابات ماركس ولينين وغيرهما، اليأس المتحدث عنه هو أقرب للحث على التغيير والإقدام والمبادرة من الأمل، والأخير هو الذي يجعل فواعل السياسة تعيش في الكسل والخمول والتردد وتوقع حدوث ما لن يقع أو أن وقوعه لن يكون حسناً ما لم يكن نتيجة الإقدام والعمل والمثابرة. الأمل هنا خالطه شيء من الوهم واللاواقعية والكسل. وإذا كان اليأس فإنه يعني عدم انتظار أو عدم تأمل شيء، من ثم فإنَّه يدفع لتدبر أو تخيُّر ما يجعل التغيير ممكناً. وهكذا فإن المشكلة هي في الأمل وليست في اليأس، خلافاً لما هو شائع.

يقول جيجيك «بدلاً من البحث عن النقيض عند الإشارة إلى الأخبار السيئة وتبني رؤية سعيدة، ينبغي أن نتعلم تمييز الجيد الكامن في داخل أي سيء عبر إدراك السيء من عدة جوانب»[14]. وكما يقول ماركس في أحد خطاباته، إنَّ «الأوضاع الميؤوس منها في المجتمع الذي أعيش

[12] ثقافة الهزيمة في المنطقة، ليست تبريرية كما كان الحال في السابق، إنما هي نوع من الإيديولوجية الهجومية والثأرية والانتقامية، ومنها مقولات "حب الحياة"، والمقاومة الخشبية، وماذا فعلتم في المقاومة، انظر ملاحظات نابهة حول الموضوع في: جوزيف سماحة، **سلام عابر: نحو حل عربي للمسألة اليهودية** (بيروت: دار النهار، 1993).

[13] يتحدث المفكر المصري سمير أمين عن "الفيروس الليبرالي" الذي يهيمن على العقول والسياسات في العالم، ويتحدث الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك عن عصر "النغولة المعممة"، والروائي الأوروغواياني إدواردو غاليانو عن "عصر التفاهة". وثمة إلى ذلك انكسار اليسار في أمريكا اللاتينية والعالم بعد نهوض عابر، وتراجع موجة مناهضة الغرب، وتآكل البريكس، وبرود همة الصين وترددها حيال الضغوط الأمريكية، وتراجع روسيا نسبياً عن محاولة تولي دور عالمي، واستسلام أوربا أمام خطاب وسياسة العنجهية والاحتقار التي يقابلها بها الأمريكيون وبخاصّة منهم الرئيس دونالد ترامب، وأكثر من كل ذلك هو غرق المنطقة العربية في عصر ظلمات لا يوجد مثيل له: تدفق مهول لأنماط قيم التخلف والعمالة والاستلام تقوم به وتروج له منابر ثقافية وإعلامية وسياسية ودينية وغيرها.

[14] سلافوي جيجيك، "سيأتي كَلِصٌ في الليل: سلافوي جيجيك ووهم الأمل"، مرجع سابق.

فيه تملأني بالأمل»، مرة أخرى، الأمل الذي يتحدث عنه ماركس ليس انتظار الخلاص أو حدوث أمر ما بشكل تلقائيّ، إنما العمل من أجل الخلاص.

في اليأس والأمل قوة متعاكسة، سالب وموجب، دينامية من الصعب الإمساك بها ولا توقعها، وهي لا تحدث من تلقاء نفسها، ديالكتيك بتعبير ماركسي أثير وشهير، مثالها الرئيس هو عبارة الفيلسوف والمناضل الإيطالي أنطونيو غرامشي عن "تشاؤم العقل وتفاؤل الإرادة"، بمعنى أنَّ هناك ديالكتيكاً يولد قوة قادرة على الزحزحة والتجاوز والخروج، وعندما لا يكون ثمة أمل ويتعمق اليأس الواقع، تتراجع الأوهام والخيالات، ويحفز ذلك لنمطين عامين أو رئيسين من الاستجابة:

- الأول هو تغيير النمط والفهم لما يمثل فرصة –تهديداً.
- الثاني هو الاستعداد للمخاطرة والمواجهة وتحمل التبعات.

وهذا يساعد في فهم الواقع بصورة واقعية وروح أو إرادة متحفزة، أو كما يقول أغامبين: «أي فكرة راديكالية دائماً ما تتبنّى الموقع الأكثر تطرفاً من اليأس»[15]. كما أن البحث عن "أحلام بديلة" هو أشبه بأوهام "تخدم كصنم يمنعنا من التفكير في مأزقنا"، وهو "علامة على جبن نظري" بتعبير جيجيك الذي يقول: «إن الشجاعة الحقيقية هي ألا نتصور بديلاً... والاعتراف بأن الضوء في نهاية النفق هو على الأرجح المصابيح الأمامية لقطار مقبل من الجهة الأخرى»[16].

هذا يذكر بعبارة في نص مسرحي للكاتب غسان كنفاني الذي اغتاله الموساد الإسرائيلي بانفجار سيارة مفخخة في بيروت تموز/يوليو 1972، يقول فيها: «ألست ترى أن التشاؤم هو الشجاعة؟ ألست ترى أن التفاؤل هو كذب وهروب وجبن؟ أنت تعرف أن الحياة قميئة وسيئة، فلماذا تواصل الأمل بها؟»[17].

[15] المرجع السابق.

[16] المرجع السابق.

[17] غسان كنفاني، **الباب**، مسرحية (قبرص: مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، منشورات الرمال، ط2، 2014).

ثالثاً- الثالث المرفوع!

ثمة علاقة ملتبسة بين سياسات الحكومة في سورية وتوقعات ومطالب الناس، بين المجتمع والدولة أو بين أهل الإيالة أي السياسيّ والرمزيّ، وأهل العيالة أي الاجتماعي الاقتصادي والمادي[18]. يتعلق الأمر بفقدان الثقة وصعوبة التواصل والتراسل والتفاعل والإدراك المتبادل بينهما، وهذه مسألة قديمة، ولكن الحرب على ما يبدو فاقمتها، وقد كان بالإمكان "تجاهل" أو "تأجيل" هذه المسألة، طالما أنها لم تتطور لدرجة الفصل التام أو القطيعة.

تمثل "الثقة" مدخلاً للتفاعل والبناء الاجتماعي والسياسي، وقد أخذ المفهوم يحتل مركزاً هاماً في الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجيا والاقتصاد والسياسة ودراسات الدولة وغيرها، ويتخذها فرانسيس فوكوياما مقولة رئيسة في تحليلاته عن الرأسمال الاجتماعي وقدرة المجتمعات والدول على بناء سياسات اقتصادية فعالة[19].

إنَّ أكثر ما يواجه السوريين اليوم هو أزمةُ الثقة أو الفهم والفهم المتبادل بين طرفي المعادلة المذكورة، المجتمع والدولة أو العيالة والإيالة، ذلك أنَّ حال "الثقة" يُذكِّر بمبدأ "الثالث المرفوع" لدى المناطقة، بمعنى: "الغياب" طبعاً لا أكثر.

غير أن الدراسة تتحدث عن "الثقة" بين الإيالة والعيالة، أي مستوى العلاقات والتفاعلات بين المجتمع والدولة، وتترك المستويات والأبعاد الأخرى لـ "الثقة" لحيز بحثي آخر إن أمكن ذلك.

---

[18] سبقت الإشارة إلى أن معنى "الإيالة" هو السياسة والإدارة والحكم والمعنى، وأما العيالة فتعني المجتمع والديمغرافيا والاقتصاد وتوفير المقوّمات والمتطلبات الرئيسة للحياة من غذاء ومسكن وصحة ومعاش وغيرها.

[19] يقول فوكوياما: إنَّ تفاوت مستويات التنمية والقوة الاقتصادية لا يعزى لعوامل سياسية أو اقتصادية بقدر ما يعزى لخصائص ثقافية جوهرية أطلق عليها عالم الاجتماع جيمس كولمان اسم "رأس المال الاجتماعي"، ويسميها فوكوياما نفسه بـ "الثقة"، أي قدرة المجتمع على التعامل على أساس الثقة المتبادلة والتعاون على تكوين جماعات وجمعيات جديدة، متجاوزاً الروابط الأسرية وصلات القربى إلى العمل معاً ضمن أطر تنظيمية جديدة ومرنة، وعادة ما يُصاب هذا النوع من القدرة الاجتماعية التلقائية بالضعف بسبب الثقافات التي تركز على أهمية الصلات العائلية وترفض ما عداها. وعلى هذا فإن ثمةَ تفاوتاً واضحاً بين أقاليم وثقافات العالم. انظر: فرانسيس فوكوياما، **الثقة: الفضال الاجتماعية وتحقيق الازدهار** (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط 1، 1998).

وهذه مناسبة لدعوة الباحثين السوريين والباحثين المهتمين بالدراسات السورية للاهتمام بهذا الجانب وتأثيره في سياسات الحرب السورية.

يتعلق الأمر بموضوعات وقضايا لا تعد في المنظور المعتاد من السياسة العليا وفق تقدير كثير من السوريين، وبخاصّة من أعطته منهم الحربُ الدائرة درساً؛ بل دروساً ثقيلة ومكلفة. إذن، الحديث هو عن تحدي تلبية الاحتياجات الأساسية للعيش أو لأهل العيالة، مثل: موارد الطاقة والغذاء والدواء، وطبعاً الأمان الاجتماعيّ والنفسيّ وتوقعات الحلّ. ويمكن الحديث في هذا الباب عن علاقة ذات اتجاهات ومؤشرات متعاكسة، وذلك بمعنيين أو مستويين رئيسين:

- إنَّ أكثر ما يواجه السوريين اليوم هو أزمةُ الثقة أو الفهم والفهم المتبادل بين طرفي المعادلة المذكورة، المجتمع والدولة أو العيالة والإيالة، ذلك أنَّ حال "الثقة" يُذكِّر بمبدأ "الثالث المرفوع" لدى المناطقة[20]، بمعنى: "الغياب" طبعاً لا أكثر. وهي أزمة قديمة لكنها تتوالد وتتجدد مع كل اختناق في مسارات الحلِّ للازمة، ومع كل تعثر أو إخفاق أو خطأ في السياسات الحكومية، غير أنها أخذت تتسع من حيث الدرجة والنوع إلى حدّ أمست معه أحد مصادر التهديد الرئيسة للوضع العام في البلد.
- بالمقابل فإن أكثر ما ظهر من السوريين هو تركهم (أو شريحة كبيرة منهم) السياسة لأهل الإيالة أو أهل الحكم أو بيروقراطية النظام السياسي والدولة، وتَفَهُّم ضغوط الحرب وضيق الحيلة تجاهها، وهذا نوع من الثقة، إذا صح التعبير، هذا، إن لم نشأ تقصي مداخل تفسير وتحليل أخرى.

[20] الفكرة العامة لمبدأ "الثالث المرفوع" هي أن الشيء إما يتصف بصفة ما وإما لا يتصف بها، ولا حال وسط ولا ثالث بينهما. حول مبدأ "الثالث المرفوع"، والمنطق عموماً، انظر مثلاً: جميل صليبا، **المعجم الفلسفي** (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ج 1، 1982)، ص 373. ولا بد من التنبيه إلى أن ذكر مبدأ "الثالث المرفوع" في النص ليس بغرض الإحالة إلى توظيف أو توسل "المنطق" في التحليل.

رابعاً- الضوء الذي في آخر النفق

ولئن جلت التطورات الكثير من غموض ما حدث عام 2011، وكشفت عن تداخل وتدخل عوامل وفواعل لا حصر لها تقريباً، في الداخل والخارج، إلا أن الحدث السوري لا يزال ملتبساً ولا يقينياً، وحتى اليوم لم يمكن التوصل إلى ميزان واحد لتقدير الأمور، لا بين السوريين ولا بين المعنيين بما يجري في سورية[21].

1. خطاب الأمل

يتعلق الأمر بما يمكن أن نسميه سوسيولوجيا الأمل بتعبير هنري ديروش[22]، إذا صح ذلك، بمعنى الرغبة والتطلع لتجاوز الواقع أو اللحظة الراهنة بمداركها وإكراهاتها ورهاناتها، وتوقع أن تتغير الأحوال بصورة أفضل في المستقبل القريب أو البعيد. وعند الحديث عن خطاب الأمل أو سوسيولوجيا الأمل فهذا يأخذ بالحسبان طيفاً واسعاً من المعاني والدلالات التي تتداخل مع الوهم والوعي الزائف وحتى مع الدوافع المخيالية المختلفة، الدينية وغيرها، وبخاصّة منها ما كانت له تجليات متطرفة منذ مرحلة ما قبل الحرب، وانفجر بعضها وتعزز في مرحلة الحرب.

ويمكن القول: إنَّ الأمل كان أداة حرب أيضاً، بمعنى: أنه كان أداة استقطاب وتحريك وجذب للموارد المادية والمعنوية على جانبي الحرب، بل وداخل كل طرف، ولو أنه (الأمل) كان متفاوتاً من حيث وجوده وتأثيره النسبي من بين محددات وفواعل أخرى. ولعل أكثر تجليات الأمل بالمعنى الديني أو الميتافيزيقي هو ما كان لدى التنظيمات المسلحة ومجتمعها أو بيئتها الراعية، ليس فقط من أمل بإسقاط النظام والسيطرة على الدولة، وإنما بِعَدِّ ذلك جزءاً من الأمل الدنيوي المأمول بالسيطرة على العالم، وفق ما ظهر مثلاً في مجلة تنظيم "داعش" المعروفة باسم "دابق"، و"دابق" تسمية تعبر عن ميتافيزيقا الأمل أو الوهم لدى المؤمنين بالتنظيم وغير المؤمنين به، نظراً لما تحيل إليه من

[21] عقيل سعيد محفوض، "ما بعد الحرب هو الحرب"، **مركز دمشق للأبحاث والدراسات**، 15 آذار/مارس 2019. http://bit.ly/2Q0PUOR

[22] انظر: هنري ديروش، "سوسيولوجيا الأمل"، في: دانيال هيرفيه ليجيه وجون بول ويلام، **سوسيولوجيا الدين**، ترجمة: درويش الحلوجي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2005)، ص 351- 385.

بعد دنيويّ-أُخْرَوْيٍّ في آن، بمعنى تحقيق انتصار دنيوي تاريخي أو في نهاية التاريخ، يهيئ لانتصار أُخْرَوْيٍّ وباب لدخول الجنة أيضاً، حسب تصورتهم ومداركهم أيضاً[23].

خطاب الأمل أو خطاب "الضوء في آخر النفق" لم يعد صالحاً تماماً، بل أصبح موضع تندر وسخرية أحياناً، وهذا بسبب كثرة استخدامه في غير موضعه وفي غير وقته، ولأن فواعل السياسة والإعلام وغيرها جعلوه لفظاً بلا معنى تقريباً.

ثمة بالمقابل أمل مضاد أو معاكس، وهو ألا يصل أولئك الجهاديون التكفيريون إلى تحقيق "ما يأملون"، الأمر الذي يخلق أو يحفز استقطاباً آخر، قد لا يكون دينياً، إنما له سمات أو تعابير وتجليات أو تمظهرات دينية، وبخاصّة ما نجده لدى الفواعل الوطنية والعلمانية والفواعل المتدينة ولكن غير الإسلاموية، وهذه على ثقة أو أمل أيضاً بأن تدينها صحيح وسوف ينتصر في نهاية التاريخ، وأن ذلك يقتضي إجهاض أو مناهضة أو محاربة التنظيمات الإسلاموية، لأنها نوع من التسييس والأدلجة الفائقة للدِّين والمشاعر والاتجاهات الدينية أكثر من أن تكون فعلاً دينيّاً خالصاً.

كانت الآمالُ في مواجهة بعضها بعضاً حرباً فائقة، غير اعتيادية، وكان ثمة أمل لدى شريحة من الناس (من مجتمع المعارضة) بأن قرع الطناجر ليلاً كما حدث في بدايات الحرب السورية يمكن أن يساعد في إسقاط النظام، قرع الطناجر هو أداة حرب، دينية ودنيوية في آن. وكانت الملائكة أيضاً أداة حرب أيضاً!

تبدو تعابير "ضوء في آخر النفق" و"النظر للنصف الملآن من الكأس"، وحتى "تفاؤل العقل وتشاؤم الإرادة"، وغير ذلك، بمثابة استعارات وجمل تحيل إلى معنى رئيس تقريباً وهو الحاجة للتفاؤل والأمل بالواقع الراهن وباللحظة القادمة، وعادة ما يتم استخدامها أو استدعاؤها في لحظات الأزمة وتراجع القدرة على توقع الحسن أو التفاؤل بما يأتي.

[23] دابق بلدة في ريف حلب على مقربة من الحدود مع تركيا. ووفقاً لمقولات دينية منسوبة للنبي محمد (ص)، فإن معركة "نهاية العالم" سوف تجري فيها (دابق)، حيث ستُهزم فيها، بقدرة إلهية، جميع القوى المناهضة لمشروع "الخلافة"، بما في ذلك الغرب والجيوش الإقليمية والأعداء الداخليون الذين يصفهم الإسلامويون التكفيريون بـ "المرتدين".

لكن خطاب الأمل أو خطاب "الضوء في آخر النفق" لم يعد صالحاً تماماً، بل أصبح موضع تندر وسخرية أحياناً، وهذا بسبب كثرة استخدامه في غير موضعه وفي غير وقته، ولأن فواعل السياسة والإعلام وغيرها جعلوه لفظاً بلا معنى تقريباً. وقد بدا في بعض الأحيان مثل خطاب صلاة الجمعة في السجن: إذ يكونُ الخطيبُ قاتلاً، والمؤذن نصّاباً، والمصلون لصوصاً، لكن يدعو جميعهم الإيمان والأمل.

لكن حديث التشاؤم ينطوي على مخاطر أيضاً من أن يفهم منه الدعوة للتخلي والعبثية واللامبالاة والهروب، مثلما أن حديث التفاؤل يمكن أن يفهم منه القعود عن فعل ما يلزم، وانتظار أن يحدث المطلوب بمجرد الأمل به، أو على قاعدة: في لحظة ما لا بدَّ أن يفعل أحد ما شيئاً ما، وينتهي الأمر.

2. كيف كنا وكيف صرنا!

لئن لاحظَ أهلُ الإيالةِ أو السياسةِ حجم المشكلات والأزمات والتمزقات الاجتماعية والنفسية والإدراكية في المجتمع بفعل الحرب، إلا أنهم لم يتصوروا أن تصل الأمور إلى درجة تهدد بخسارة ما عُرف بـ "مجتمع الموالاة" الرئيس الذي دفع أثماناً وتحمّل تبعات وتداعيات الحرب بأقل قدر من المطالب والمكاسب أو العوائد، وشعر أنه بدا يدفع المزيد في لحظة توقع فيها أن من حقّه أن يحصل على ما يعوضه إجهاد وفاقد الحرب.

والواقع أن السوريين لم يظهروا اهتماماً كبيراً أو استعجالاً لحلِّ العديد من المشكلات، إذ إنَّ مقارنة بسيطة بين ما كان قبل الحرب وما صار في بدايتها (2011-2015) تجعلهم يقولون: "لا حول ولا قوة إلا بالله، كيف كنا وكيف صرنا"، أي كنا في أمن وأمان وصرنا في حرب؛ وبعد عدة سنوات يقارنون أيضاً بين ما كان في بداية الحرب (2011-2015) وبين ما صارت إليه الأمور في السنوات اللاحقة (2016-2018)، فيقولون: "الحمد لله، كيف كنا وكيف صرنا"، أي كنا في حرب وصرنا في أمن وسلام نسبيين، ويبدو أنهم في الأمد الواقع بين (2018-2019) عادوا للقول: "لاحول ولا قوة إلا بالله، كيف كنا وكيف صرنا".

لم تكن لدى أهل العيالة مطالب ملحة أو عاجلة في باب السياسات العليا، أي نمط الحكم وطبيعة النظام السياسي، وأولويات السياسة الخارجية، إلخ، فقد تركز اهتمامهم –كما سبقت

الإشارة– على الجوانب الحياتية والمعيوش اليومي[24]؛ لكن هذا لا يعفي أهل السياسة وفواعل الحكم من أن يتدبروا السُّبل المناسبة للاستجابة لتحديات لن يتأخر حضورها والتعبير عنها، إذ إنَّ توقع التحديات-الفرص قبل مجيئها أو قبل حلولها هو من بداهات السياسة في عالم اليوم.

3. قطار آخر النفق!

كان السوريون مُؤَمَّلين بأن الأمور تشهد تحسناً مطّرداً، وأنَّ الحلَّ قادم وسريع، بل إنَّ ذلك الضوء الذي كان في آخر النفق أصبح أقرب وأكثر قوة، وما زاد في ذلك هو استعادة الدولة لمناطق جغرافية وسكانية كبيرة، بالسياسة أكثر منه بالحرب[25]، وبروز خطاب سياسيٍّ وإعلامي متفائل بأن المشهد السوريّ مقبل قريباً على تغيير حاسم تقريباً[26].

لكن ما حدث في الواقع كان عكس التوقع، إذ استغلقت مسارات الأزمة، فلا حرب ممكنة لاستعادة المزيد من الجغرافيا، ولا تسوية ممكنة أو قريبة من أجل التوصل إلى حلٍّ ينهي الحرب. إذ تعثرت أو لا تزال خطط استعادة إدلب، وبرزت لدى الروس والإيرانيين مدارك تهديد دفعتهم للمزيد من التعويل على تركيا، وفي ذروة الاندفاعة التركية للتوغل في شمال وشمال شرق سورية، وسيطرة تركيا على مناطق واسعة من الجغرافيا السورية، فقد تواصل التعاون بينهم وبين روسيا وإيران.

وقد عبّر وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف عن ذلك في عبارة لافتة، قال: «لنا علاقات لا مثيل لها مع تركيا»[27]، ولو تحدث وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف لربما قال الشيء نفسه تقريباً. لكن الحال مختلف مع وزير الخارجية السوري وليد المعلم، إذ إنَّ هذا التعبير ربما ينطبق على علاقة بلاده بكل من روسيا وإيران، وأما تركيا فهي بلد معادٍ. وفي الوقت الذي قال فيه وزير

---

[24] يمكن الحديث عن حياتين تقريباً للسوريين، الأولى هي الحياة بالمعنى البيولوجي والمادي ومستلزمات العيش، والثانية هي الحياة المدنية أو السياسية، وهذا يشبه ما ذهب إليه أرسطو في كتابه الأخلاق إلى نيقوماخوس أو الأخلاق النيقوماخيّة، انظر: جورجيو أغامبين، **المنبوذ: السلطة السيادية والحياة العارية**، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد العزيز العيادي (بغداد-بيروت: منشورات الجمل، ط1، 2017)، ص 13.

[25] انظر مثلاً: عقيل سعيد محفوض، **الجبهة الجنوبية: هل تسعى إسرائيل لتعديل اتفاق الفصل 1974؟**، دراسة (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تموز/يوليو 2018)، وعقيل سعيد محفوض، **رايات بيضاء: حول سياسة المصالحات والتسويات في الأزمة السورية**، دراسة (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تشرين الثاني/نوفمبر 2018).

[26] عقيل سعيد محفوض، "في معنى ما بعد الحرب"، **مركز دمشق للأبحاث والدراسات**، غير منشور.

[27] "ظريف: علاقاتنا مع تركيا اليوم لا مثيل لها منذ عقود"، **عربي 21**، 18 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2vSCQC1

الخارجية الإيراني جواد ظريف من إسطنبول/أنقرة إنَّ بلاده تسعى في التقريب بين سورية وتركيا[28]، فقد قال وزير الخارجية التركي، إنَّ الطلب من تركيا الانسحاب من الأراضي السورية التي سيطرت عليها هو أمر "غير واقعي"[29].

وصلت الأمور بالسوريين إلى ما يشبه اليقين بأن "ما بعد الحرب هو الحرب"[30]، وأن ذلك الضوء المؤمَّل أن يكون في نهاية النفق، أمسى أكثر قوة، وقد يكون ضوء قطار سريع قادم نحونا، بتعبير موجع وصادم لـ سلافوي جيجيك[31]. ولنا عودة إلى هذه النقطة.

4. ما باليد حيلة

إنَّ كل دور للآخر في حرب وجوديّة من نمط الحرب الدائرة في سورية وعليها لا بد أن تكون له تداعيات ثقيلة على طبيعة المجتمع والدولة لما بعد الحرب، حتى لو كان ذلك الآخر حليفاً[32]. وهذا لا يقلل من تقدير السوريين لدور حلفائهم، لكن ليس في مدارك السياسة لديهم أي وهم بأن الأعداء والحلفاء، لكل منهم ميزانه وتقديراته وأولوياته، وأنَّ لا شيءَ إلا بثَمنه، لا في ميزان الأرض ولا ميزان السماء[33].

يبدو أنَّ السوريين اعتادوا على هذا الحال، ومن الواضح أنهم اليوم "أكثر تفهماً" لهذا النمط من العلاقات بين حليفي بلدهم الرئيسين: إيران وروسيا، وبين عدوهم الرئيس: تركيا، لكن بالقطع ليس من باب التفاؤل، وأنَّ ثمة "ضوءاً في آخر النفق"، إنما لأن "ما باليد حيلة"، وقد أصبحوا في قلق من أن روسيا وإيران تتطلعان بالفعل إلى تركيا ربما أكثر من سورية نفسها! فكيف يكون موقفهم من خطط سورية لاستعادة إدلب وإخراج تركيا من شمال سورية؟

---

[28] "ظريف: نسعى لإعادة علاقات دمشق مع أنقرة"، **روسيا اليوم**، 17 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2VVbkm9

[29] "أنقرة: مطالبة تركيا بتسليم المناطق التي سيطرت عليها في سوريا أمر غير واقعي"، **سبوتنيك**، 18 نيسان/أبريل 2019. https://sptnkne.ws/mxR6

[30] عقيل سعيد محفوض، "ما بعد الحرب هو الحرب"، مرجع سابق.

[31] سلافوي جيجيك، "سيأتي كَلِصٌ في الليل: سلافوي جيجيك ووهم الأمل"، مرجع سابق.

[32] عقيل سعيد محفوض، "شرايين سورية المفتوحة"، **مركز دمشق للأبحاث والدراسات**، 1 كانون الأول/ديسمبر 2018. http://bit.ly/2DZZ2yA: وعقيل سعيد محفوض، **إعادة التفكير في الدولة: قراءة في ضوء الأزمة السورية**، دراسة (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، آذار/مارس 2019).

[33] عقيل سعيد محفوض، "ما بعد الحرب هو الحرب" مرجع سابق.

وقد حدث شيءٌ من هذا القبيل حولَ شرق الفرات ومشروع الإدارة أو الكيانية الكردية هناك[34]، إذ اصطدمت المداولات حول شرق الفرات بجدران التدخل والرهانات الأمريكية والغربية والكردية[35]، وزاد في ذلك إيقاع الضغوط الأمريكية والغربية والعربية على سورية وحلفائها؛ وثمة هواجس متزايدة من أن روسيا لها حصة قد تكون كبيرة في سيرة ومسيرة الضغوط على سورية، وذلك في ضوء الموقف من الوجود الإيرانيّ في سورية، والتفاهمات بين روسيا و"إسرائيل" إزاء الحرب في سورية، فضلاً عن التجاذبات الروسية-الأمريكية في سورية وخارجها.

5. ما بعد الحرب هو الحرب

انقلبت مؤشرات الحلّ إلى مؤشرات حصار وتضييق وإعاقة، وحدثت أزمات ممتدة وثقيلة في قطاعات الطاقة، وقالت وزارة النفط السورية في منتصف نيسان/أبريل 2019: إنَّ واردات النفط والغاز متوقفة منذ عدة أشهر[36]، وقال رئيس مجلس الوزراء: إنَّ مصر تمنع مرور إمدادات النفط من إيران عبر قناة السويس[37]، فيما تساءل سوريون كثر عن موقف روسيا وإيران من ذلك، وهما أقرب حلفين لسورية ولديهما فوائض كبيرة من النفط والغاز[38].

بعض المبالغة في خطاب التفاؤل والحديث عن سورية ما بعد الحرب ربما كان بوصفه جزءاً من ديناميات الحرب الرمزية والنفسية، ذلك أن الحديث عن الانتصار يعني أن الحرب انتهت تقريباً، وأن ليس أمام المعارضة والخصوم الآخرين أي أفق يمكن التعويل عليه للعودة إلى الوراء.

---

[34] عقيل سعيد محفوض، **سورية والكرد: بين المواجهة والحوار، أي أجندة ممكنة؟**، دراسة (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تموز/يوليو 2018).

[35] عقيل سعيد محفوض، "مزاولة المستحيل! تحرير الكرد من الرهان على الأمريكي ومن الارتهان له"، **مركز دمشق للأبحاث والدراسات**، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. http://bit.ly/2vSpe9M

[36] "وزارة النفط السورية تكشف السبب الحقيقي لأزمة البنزين"، **روسيا اليوم**، 17 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2Q4ETfK

[37] "إغلاق «القناة» بوجه الإمدادات النفطية: السيسي شريكاً في حصار سوريا"، **جريدة الأخبار**، 11 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2JdodCd

[38] كامل صقر، "نفط مفقود وصور طوابير تتكرر... روسيا وإيران في قفص الأسئلة السورية"، **القدس العربي**، 18 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2Yo25Z4 وفراس الشوفي، "حصار سوريا: حرب «التركيع» والانتقام"، **جريدة الأخبار**، 18 نيسان/أبريل 2019. https://al-akhbar.com/Syria/269508

لكنَّ أهلَ السياسةِ أو الإيالةِ لا يتحملونَ كاملَ المسؤوليةِ عن ذلك، وهم معذورون إلى حدٍّ ما في جانب مما فعلوه لجهة تعجُّلهم في إشاعة قدْرٍ كبير من الآمال والوعود بتغير الأحوال، لولا أنهم بالغوا في ذلك، ورفعوا سقف التوقعات بشكل أكبر من قدرتهم على الإيفاء به وبمتطلباته. لا بد من القول: إنَّ هذا كان تكتيكاً صحيحاً بصورة عامة، وإن شابته هنات وعثرات وأخطاء في الرؤية والسلوك، إلا أن الظروف عاكسته بالتمام[39].

ونكرر الكلام على أنَّ بعض المبالغة في خطاب التفاؤل والحديث عن سورية ما بعد الحرب ربما كان بوصفه جزءاً من ديناميات الحرب الرمزية والنفسية، ذلك أن الحديث عن الانتصار يعني أن الحرب انتهت تقريباً، وأن ليس أمام المعارضة والخصوم الآخرين أي أفق يمكن التعويل عليه للعودة إلى الوراء[40].

6. خطاب الرئيس الأسد

وجّه الرئيس بشار الأسد لوماً شديداً لأهل السياسة أو الإيالة على ذلك، قال في كلمة له أمام مسؤولي الإدارة المحلية: «علينا أولاً ألا نعتقد خطأ كما حصل خلال العام الماضي أن الحرب انتهت. وأقول هذا الكلام ليس للمواطن فقط، أيضا للمسؤول، نحن نحبُّ بطبعنا أحياناً العنتريات. وكأن الحرب أصبحت من الماضي. ولدينا الرومانسية أحيانا أننا انتصرنا»[41].

والرئيس الأسد يحذر من أن الحرب مستمرة ولا نهاية قريبة لها، وأن ما بعد الحرب هو الحرب، كما سبقت الإشارة، إلا أن المُضمر في خطابه –وهذا مجرد تقدير مني، ولا يستند إلى معلومات يقينية– هو أن ثمة عوامل ضغط إضافية على سورية، تأتي هذه المرة من تغير في نمط وإيقاع العمل مع الحلفاء وقراءتهم لما يمثل مصلحة لهم في المشهد السوريّ[42].

---

[39] عقيل سعيد محفوض، "في معنى ما بعد الحرب"، غير منشور.

[40] المرجع السابق.

[41] "كلمة الرئيس الأسد خلال استقباله رؤساء المجالس المحلية من جميع المحافظات السورية"، سانا، 17 شباط/فبراير 2019. https://sana.sy/?p=897175

[42] عقيل سعيد محفوض، "ما بعد الحرب هو الحرب"، مرجع سابق.

قال الرئيس بشار الأسد: إنَّ الجيش السوري لا يزال "يخوِّضُ حروباً"، يتعين الانتهاء منها قبل الانتقال للنقطة الرئيسة التالية، ألا وهي "الحصار الذي تفرضه دول أجنبية". إنّهما أمران متداخلان يمثل أحدهما شرطاً للآخر، الأول هو الانتهاء من الحروب، والثاني هو فك الحصار[43].

[43] "كلمة الرئيس الأسد خلال استقباله رؤساء المجالس المحلية من جميع المحافظات السورية"، سانا، مرجع سابق.

خامساً- ستار الجهالة

لم تدرك شريحة قد تكون كبيرة من السوريين حجم وطبيعة الرهانات المُركَّبة والمُعقَّدة لدى مختلف فواعل الحرب. وقد تحول الغموض واللايقين لدى شرائح اجتماعية كبيرة نسبياً (ليس ثمة معلومات دقيقة!) إلى نوع من الأمل أو التفاؤل بقرب انتهاء الحرب كما سبقت الإشارة. وليس معنى ذلك أنَّها فكّرت أو حاولت التفكير في المستقبل فوجدت ما يبعث على التفاؤل والطمأنينة بالفعل، ولو فعلت لكانت معذورةً بعض الشيء، بحسبان مؤشرات الحل التي ذكرناها سابقاً، إنما كانت ثمة حُجُب بينها وبين ذلك القادم غير المعروف وغير المتوقع وغير المفكر فيه، ولابد أن هذا القول أو بعضه فيه شيء من التقدير غير القابل للتعميم، ويتطلب المزيد من التدقيق والتقصي.

يمكن أن نسمّي تلك الحجب بـ "ستار الجهالة" حسب تعبير جون رولز، ولو أننا نأخذ المفهوم –لكن بحذر ولطف– من سياقه الطبيعيّ أو الأصليّ إلى سياق مختلف. لا بدَّ هنا من توضيح المقصود بـ "ستار الجهالة" أو "حجاب الجهل"، وهو أن الناس لا يعلمون شيئاً عن قدراتهم، ولا عن أوضاعهم الاجتماعيّة والسياسيّة وغيرها، ولا ما هي التداعيات المتأتية عن كشف الستار أو الحجاب، يقول رولز: «لا يوجد أحد يعرف موقعه في المجتمع، ولا طبقته الاجتماعية أو حالته، ولا يعرف حتى نصيبه من التوزيع للموارد الطبيعيّة ولا القدرات، لا ذكاءه ولا قوته ولا هيئته»[44].

1. الستار الصالح

وقد كان ستاراً أو حجاباً صالحاً في كثير من الأحيان، إذ إنَّ عدم معرفة الناس بحجم التهديدات والمخاطر القائمة أو المحتملة أحياناً ما يكون مفيداً لجهة بقاء العزيمة والإرادة على العمل والمقاومة والعناد والإصرار، أما إذا أزيح ذلك الستار أو انكشفت أو تكشفت التهديدات والتحديات والإمكانات فقد يؤدي ذلك إلى عواقب لا تحمد عقباها، ومن الممكن أن تتفاقم مدارك التهديد والشعور بالعجز وصعوبة وربما استحالة فعل أيّ شيء. وبخاصّةٍ إذا وقع المتلقي تحت تأثير تدفقات إعلامية وسياسية هي جزء من الحرب النفسية والحرب الهجينة الدائرة اليوم والتي لم تتوقف لحظة واحدة.

[44] جون رولز، **العدالة كإنصاف: إعادة صياغة**، مرجع سابق، ص 105 وما بعد.

من هذا الباب يمكن القول: إنَّ "ستار الجهالة" كان مفيداً أو صالحاً لبعض الوقت كما سبقت الإشارة، هذا يُذكِّرُ بمقولة منسوبة للإمام الصادق: "لو انكشف الغيب لاخترتم الواقع"، مع الإشارة إلى أننا لا نتحدث هنا عن "الغيب" بما هو "مستقبل" هكذا بإطلاق أو بعموم اللفظ والمعنى، إنما بما هو "واقع راهن" أو "مستقبل قريب" أو "وشيك" أو "ماثل"، إذ إنَّ انكشافه مثل تهديداً كبيراً بالفعل.

أصدرت الحكومة مثلاً مؤشرات متناقضة حول موارد الطاقة في البلاد، فمن الإعلان عن قرب انتهاء الأزمة، إلى الإعلان عن توقف التوريدات منذ عدة أشهر، إلى الإعلان عن تأمين مادة البنزين بالسعر العالمي، وترافق ذلك مع انتشار أقاويل في الفضاء العام تتحدث عن تأثير رجال أعمال في صناعة السياسات الاقتصادية والمالية، وبخاصّة ما يتعلق بقطاع النفط والغاز.

هذا يزيد فجوة عدم الثقة بين أهل الإيالة وأهل العيالة، أو بين فواعل السياسة وفواعل الرأي والرأي العام في المجتمع. بحيث يسود التشكيك في ما تقوله الحكومة، وهذا يزيد في ديناميات التغلغل والاختراق والتأثير الإعلامي والميديائي بصورة قادرة على خلق مشكلات لا حصر لها ولا قِبَلَ للنظام السياسي والحكومة والدولة بمواجهتها.

2. ستار الغفلة

إنَّ ستار أو حجاب الجهالة موجود على جانبي المعادلة الرئيسة لهذه الدراسة، أي أهل الإيالة وأهل العيالة، أو بتعبير آخر أهل السياسة والحكم والدولة وأهل الاجتماع والاقتصاد، إلخ، جاء في إنجيل متى: «اعْلَمُوا هَذَا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ [أهل السياسة والحكم] فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ [العدو] لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ [الدولة والوطن] يُنْقَبُ».

> **كان أكثر الحديث هو عن ستار الجهالة لدى أهل العيالة أي المجتمع، ولو شئنا أن نتحدث عنه لدى أهل الإيالة أو أهل الحكومة والسياسة لظهرت لدينا فجوات وأزمات لا نهاية لها تقريباً.**

ولكنه مكر السياسة ومكر التاريخ، ويحدث أن يأتي السارق في حرب دُبِّرَت في ليل وأُعلنت وجَرَت في وضح النهار، ويحدث أن يدخل السارق إلى البيت بمعاوَنَةٍ من داخل البيت نفسه، وهذا

بفعل قابلية التدخل وديناميات التغلغل والاختراق الخارجي، وثمة إلى ذلك عوامل كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

وقد كان أكثر الحديث هو عن ستار الجهالة لدى أهل العيالة أي المجتمع، ولو شئنا أن نتحدث عنه لدى أهل الإيالة أو أهل الحكومة والسياسة لظهرت لدينا فجوات وأزمات لا نهاية لها تقريباً، ولكن صرفنا النظر عن هذا الجانب ربما حرصاً على شيء من "ستار الجهالة" العظيم لدى القارئ، وهو لا شك يعلم الكثير، حسبنا أن نشير إلى ما قاله ونبه إليه وحذر منه الرئيس بشار الأسد في كلامه على "عنتريات" لدى السوريين، ونحن هنا نعيد عبارة له سبق أن ذكرناها أعلاه، قال: «نحن نحب بطبعنا أحياناً العنتريات. وكأن الحرب أصبحت من الماضي. ولدينا الرومانسية أحيانا أننا انتصرنا»[45].

3. مرة أخرى، خطاب الأسد

عندما وجه الرئيسُ بشار الأسد فواعل السياسة وبيروقراطية الحكم بأن يكونوا واضحين، فقد فعلوا شيئاً من ذلك، ولكن من دون هدىً وبقدْرٍ كبير من الاضطراب والفوضى والسلبية والسوداوية الأمر الذي أدى إلى نتائج عكسية بالفعل، وقد بدا صدقهم كذباً، وهذا ما يحدث حينما يأتي الصدق متأخراً عن وقته أو في سياق غير مناسب أو ليغطي الإخفاق والفشل وربما الفساد في السياسات الرسمية والحكومية وغيرها. وأحياناً ما يكون الكذب إذا استخدم في سياقه وأوانه أكثر صدقاً –بالمعنى السياسي والاجتماعي والتاريخي– من الصدق نفسه! وهذا باب فيه كلام كثير.

4. ميزان التبعات

إنَّ المتلقي السوري غير معتاد على سياسات حكومية صريحة وصادقة. وعندما حاولت فئة من فواعل السياسة العامة وبيروقراطية الدولة أن تكون واضحةً أكثرت من الإشارات الصريحة لكن غير الصادقة! وقد تكون السياسات الحكومية صادقة بالفعل، إلا أن فواعلها لم تحسن إيصال كونها كذلك إلى المتلقي، ثم إنها أخطأت التراسل، وقد ألقت التبعات كلها على الخصوم أو الخارج، وأكثرت من الحديث عن الصعوبات بشكل مفاجئ وغير معتاد، وخالط حديثها عن

[45] "كلمة الرئيس الأسد خلال استقباله رؤساء المجالس المحلية من جميع المحافظات السورية"، مرجع سابق.

الصعوبات والتحديات أكاذيب أو أخطاء في تقدير الموقف، والأهم هو أنَّها لم تفعل شيئاً تقريباً حيال الفساد وضعف الأداء في إدارة الشأن العام.

5. ميزان الصدق-الكذب

الأهم في حالات الحرب والاضطراب هو الموازنة بين الصدق والكذب، أو بتعبير أدق بين الإفصاح والسكوت، الموازنة المقصودة هنا هي بمعنى الإدارة والضبط بين هذا وذاك، لا أن يكون الميزان متساوياً! وثقافتنا في هذا المشرق الجميل تميل لـ "تفهم" السياسيّ إذا أخفق، المهم أن يكون قادراً على تجديد سياساته وإدارة أدواته، وتجديد مقبوليته، وهذا باب فيه كلام كثير. والمراد من ذلك هو أن سقف المتطلبات الاجتماعية ضعيف إلى متوسط، وأن الناس يقبلون أن يُخالط الفسادَ شيءٌ من النزاهة والصدق، والضعفَ شيءٌ من القوة، والتخلي شيء من الانتماء، والفوضى شيء من النظام والقانون، واللامبالاة والعبثية شيء من الجدية، أما في حالة الحرب فإن المتطلب الرئيس هو أن يكون السياسي جادّاً وأن يحاول فعل شيء.

سادساً- المخاطرة

في دراسات "عالم المخاطر" يتم الحديث عن المخاطرة بوصفها ردَّ الفعل النشط لاحتواء المخاطر نفسها، وهذا يتعدى البعد الأمني والعسكري إلى الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إلخ، ويتحدث أولريش بيك وأنتوني جيدنز عن "مجتمع المخاطر" أو "مجتمع المخاطرة"[46]، وهما بتحديدٍ أوليٍّ مفهومان يصفان إنتاج وضبط وإدارة المخاطر في المجتمعات الحديثة، وفي النظام العالمي.

ولا يعني مجتمع المخاطرة أنّه مجتمع تزيُّدٍ في معدلات الخطر بقدْر ما يعني أنه مجتمع منظم ومتحفز لمواجهة المخاطر. والأصل في فكرة المخاطرة هو تحويل الخطر أو التهديد إلى فرصة. ولكن المخاطرة ليست المغامرة بالمعنى المعروف أو الشائع، إنما هي –كما سبقت الإشارة– استجابة جادة وجريئة لتحديات غير مسبوقة أو غير تقليدية أو تحديات وجودية، وتنطلق من الإيمان أو الاعتقاد بأن المقاومة والإصرار والعناد وعلو الهمة والإقدام أسبابٌ تجعلُ المستحيل مكناً، وتستند المخاطرة إلى:

لعلَّ المهمة الأكثر إلحاحاً وصعوبة في سورية اليوم هي تغيير النمط والإقدام على التفكير من خارج الأطر التقليدية، أي استعداد فواعل الحكم وأهل الإيالة والعيالة معاً لتدبر سبل غير نمطية للتعاطي مع تحديات الحرب وتحديد أولويات ما بعد الحرب.

- قراءة نابهة وعميقة للواقع وتحولاته، والأهم هو الإمساك بالمؤشرات الرئيسة والعوامل والفواعل المرجّحة.
- سلطة التوقع، وهي وثيقة الصلة بالنقطة السابقة، بمعنى "أن السلطة النهائية لن تكون سلطة الفكر بقدْر ما ستكون سلطة التوقع، إلى درجة أن مفردة حَكَمَ لن تعني مستقبلاً سوى توقَّعَ وحاكى وخزَّن هذه المحاكاة في الذاكرة"[47].
- الجرأة وقوة المبادرة والإقدام.

[46] أولريش بك، **مجتمع المخاطر العالمي: بحثاً عن الأمان المفقود**، ترجمة: علا عادل وآخرون (القاهرة: المشروع القومي للترجمة، ط1، 2013). وأنتوني جيدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصياغ (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005).

[47] بول فيريليو، **السرعة والسياسة: من ثورة الشارع إلى الحق في الدولة**، ترجمة: محمد الرحموني (بيروت: شبكة الأبحاث العربية، 2017)، ص 150.

- انتهاز اللحظة والإمساك بالفرصة،

وهكذا «يتعيّن على الفرد المجازفة، وأن يتحمل المخاطر، وأن يحاول أن يتدخل ويتفاعل حتى إذا بدا له أن هدفه الذي يود تحقيقه (موقن به) لا يمكن الوصول إليه. فمحاولات التدخل وحدها تجعل من المستحيل ممكناً، وسيصل بالطريقة التي لا يمكن التنبوء بها»[48].

ولعلَّ المهمة الأكثر إلحاحاً وأهمية وأولوية وصعوبة في سورية اليوم هي تغيير النمط والإقدام على التفكير من خارج الأطر التقليدية، أي استعداد فواعل الحكم وأهل الإيالة والعيالة معاً لتدبر سبل غير نمطية للتعاطي مع تحديات الحرب وتحديد أولويات ما بعد الحرب. وحتى الآن لا يبدو أن فواعل الفكر والسياسة قد أقدمت على ما هو مطلوب، ولا تزال ديناميات السياسة وخطابها وجملها وعباراتها على حالها تقريباً، ومثل ذلك بالنسبة للخطط والسياسات الحكومية وغير الحكومية. وهذا لا يقلل من أهمية الجهود الفردية والهامشية لكتاب ومراكز أو مؤسسات بحثية ناشئة، إنما هو يضع تلك الجهود في ميزان التحديات فيجدها أقل بكثير من أن تمثل استجابة ذات تأثير جِدّيٍّ في تقديرات ومسارات الأمور.

[48] سلافوي جيجيك، "سيأتي كَلِصٌ في الليل: سلافوي جيجيك ووهم الأمل"، مرجع سابق.

سابعاً- لينين الحكيم

فلاديمير لينين مفيد هنا، وهذا أمر غير متوقع منه بالذات، نظراً للصور والمدارك النمطية حول الرجل التي تركز على شخصيته الثورية والجذرية، متغافلةً عن جوانب أخرى من شخصيته، وبخاصّةٍ ما يتعلق بأولوية بناء الدولة.

لاحظ لينين أنَّ ثورة تشرين الأول/أكتوبر لم تعد على السويّة نفسها من الاندفاع وقابلية التلقي والانتشار، وأن روسيا وأهل الثورة في حالة يأس تام تقريباً، إذ إنَّ هناك نظاماً جديداً يمثِّلُ دولة مُحْدَثةً ومنهكةً بالحرب في الداخل والخارج، ومعزولة ومشوشة في مواجهة وضع عالمي ضاغط وفي وقت بدا فيه أفق الثورة العالمية إلى انحسار. وكانت ثمة حاجة ملحة لمراجعة المدارك والسياسات، واتخاذ ما يلزم للمحافظة على الدولة وليدةِ التجربة الناشئة من التآكل والانهيار، والبحث في البدائل الممكنة للمواجهة.

تعاطى لينين بشجاعة وإقدام في مواجهة تحديات وجودية فائقة، ورأى أن التهديد "يمكن أن يتحول إلى ميزة" أو فرصة. وهذا ما عبر عنه بالقول «ماذا لو كان اليأس الكامل من الوضع، يصبح عاملاً لتحفيز جهود العمال والفلاحين عشرة أضعاف، ما يوفر لنا الفرصة لخلق المتطلبات الأساسية للحضارة بطريقة مختلفة عن تلك التي هي موجودة في دول أوروبا الغربية؟»[49].

ركز لينين بصورة رئيسة على تأكيد وتعزيز الدولة وحكم الثورة بوصفهما أولوية، من دون أن يبعد أو يهمل الدوائر الأكبر أو الأوسع، أي الوضع الدولي، إذ كان من الصعب مباشرة أهداف خارج الحدود طالما أن الأوضاع داخل الحدود غير آمنة أو غير مطمئنة. وإن تركيز الجهود على "الداخل" كان يعني في بعض الأحيان تغيير نمط السياسات مع الخارج، وتأجيل أو تحييد بعض الصراعات والمنافسات، ما أمكن، حتى لو كان ذلك مؤلماً.

ينبه لينين إلى ضرورة التحسُّب للخطوات والسياسات، و"أنه لا جدوى من الصعود لقمة الجبل إذا كنت لا تعلم كيفية النزول من الناحية الأخرى". وأن على "المرء البدء من البداية، ليس

[49] "سلافوي جيجك يكتب لينين في عام 1917: إنَّ عبقريته تكمن في قدرته على تجاوز المسار النموذجي للثورات"، ترجمة: أحمد الزبيدي، **جريدة المدى**، 5 آذار/مارس 2017. https://almadapaper.net/Details/169330

من القمة التي قد وصلها المرء بنجاح في الجهد السابق". هنا يمثل لينين راهنية وحيوية بالنسبة لسياسات الحرب في سورية، وذلك في أمور مثل:

- أولوية الإيديولوجية والعصبية الحزبية كنواة صلبة للعمل السياسي.
- بناء حزب قوي ومتماسك وواضح الرؤية والأهداف.
- الإيديولوجية اللاصقة والجامعة لمختلف التيارات والتكوينات السياسية المتقاربة.
- تعميم خطاب سياسي ونظم قيم ثقافية واجتماعية موازية للدولة، بل فوق الدولة نفسها، متمفصلة معها، بوصفها مؤسسة للسلطة والنظام السياسي والدولة.

إنَّ الأهم من كل ذلك وفي القلب منه هو أن كل ما قاله لينين كان يدعو للعمل. وهذا بالضبط ما يحتاجه السوريون. ونحن نتحدث عن خبرة لينين وراهنية تجربته ودروسه[50]، كما سبقت الإشارة، ولا ندعو إلى "إعادة إنتاج" ما قام به الرجل أو "استنساخ" تجربته، نظراً لفروق واختلافات كثيرة لا مجال لذكرها أو التفصيل فيها في هذا السياق.

[50] المرجع السابق. وانظر أيضاً: "اقتنص النهار: ميراث لينين - سلافوي جيجيك"، ترجمة: هشام روحانا، **الحوار المتمدن**، 29 كانون الأول/ديسمبر 2013. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=393646&r=0

ثامناً- الإشارات والتنبيهات

- أدت التطوراتُ في الحرب السورية إلى نوع من التحول في قراءة وتقدير شريحة قد تكون كبيرة من السوريين لحالة الحرب الدائرة في بلدهم، ومن ثم للموقف بين المجتمع والدولة، من أولويةٍ نسبيّةٍ للعوامل الخارجية إلى أولوية نسبية للعوامل الداخلية، بدا ذلك بصورة واضحة على شكل انتقاداتٍ حادة وغير مسبوقة للسياسات الحكومية ونمط استجابتها للحرب.
- حدث نوع من "الالتباس" أو "الاختلال" في نمط "التواصل" و"التراسل" بين الدولة والمجتمع أو بين أهل الإيالة وأهل العيالة، جَدَّدَ لدى أعداء النظام السياسي والدولة الأمل بإمكانية مواصلة الحرب بأدوات أخرى، على أساس أنَّ الحصار الاقتصادي والسياسي والإعلامي يمكن أن يحقق ما لم تحققه الحرب نفسها.
- لا تصدُر التجاذبات الحاصلة بين أهل الإيالة أو الدولة وأهل العيالة أي المجتمع تجاه تحديات الحرب من رؤيتين مختلفتين للحرب في سورية، لكن المرجعية الواحدة غير كافية لتدارك التوتر وربما الخلاف، إذ من الممكن أن تحدث اختلافات وتبدلات تضع الطرفين في مواجهة لا تحمد عُقباها.
- يبدو أن حجم وطبيعة التحديات في المشهد السوريّ لم تكن واضحة أو معروفة لدى شريحة كبيرة من المتلقين السوريين وحتى لدى جانب من فواعل السياسة وبيروقراطية السياسة العامة والحكم، ما تسميه الدراسة أثر "ستار الجهالة" باستعارة تعبير معروف لـ جون رولز، غير أنَّ انكشاف المشهد عن تحديات مهولة من الداخل والخارج، سبب حالة من الإحباط وضَعَّفَ الثقة بالسياسات الحكومية، وزاد من حالة من اللايقين تجاه التطورات الراهنة والمحتملة للأوضاع في سورية.

> **إنَّ ديناميات استمرار الحرب إقليميةٌ ودوليةٌ في المقام الرئيس، وهذا إذ يطمئن من جهة أن لا فواعل سورية كبيرة منخرطة بقوة في الحرب، إلا أنه من جهة أخرى يثير مخاوف كبيرة من أن الوزن النسبي أو الرئيس المُرجح في مسارات الأمور هو للفواعل الدولية وإلى حد ما الإقليمية.**

- يجري في المنطقة العربية والشرق الأوسط، ومنه المشهد السوري، سيل من التدفقات والمدارك التي تدفع المجتمع وفواعل الرأي والسياسة والاجتماع إلى اليأس. يبدو اليأس نمطاً من إيديولوجيا يراد تعزيزها وتعميمها، بل إن سيل الهزيمة والاستسلام الجارف يجتاح المنطقة بوصفه الاستجابة الممكنة أو المثلى للتحديات الراهنة.
- إنَّ خطاب الأمل أو خطاب "الضوء في آخر النفق" لم يعد صالحاً تماماً، وهذا بسبب كثرة استخدامه في غير موضعه وفي غير وقته، ولأن فواعل السياسة والإعلام وغيرها جعلوه لفظاً بلا معنى تقريباً. وقد بدا في بعض الأحيان مثل خطاب صلاة الجمعة في السجن: إذ يكون الخطيبُ قاتلاً، والمؤذنُ نصّاباً، والمصلون لصوصاً، لكن يدعو جميعُهم إلى الإيمان والأمل.
- إنَّ كل دور للآخر في حرب وجودية من نمط الحرب الدائرة في سورية وعليها لا بد أن تكون له تداعيات ثقيلة على طبيعة المجتمع والدولة لما بعد الحرب، حتى لو كان ذلك الآخر حليفاً، إذ لا شيء إلا بثمنه، لا في ميزان الأرض ولا ميزان السماء.
- وجّه الرئيس بشار الأسد لوماً شديداً لأهل الإيالة أو فواعل النظام السياسي والدولة على أخطائهم في تقدير الموقف ورسم السياسات. وهو إذ يحذر من أن الحرب مستمرة ولا نهايةَ قريبةً لها، فإنه يحيل في الوقت نفسه إلى أن ثمة عوامل ضغط إضافية على سورية، تأتي هذه المرة من التغيُّر في نمط وإيقاع العمل مع الحلفاء وقراءتهم لما يمثل مصلحة لهم في المشهد السوري.
- لعلَّ المهمة الاكثر إلحاحاً وأهمية وأولوية وصعوبة في سورية اليوم هي تغيير النمط والإقدام على التفكير من خارج الأطر التقليدية، أي استعداد فواعل الحكم وأهل الإيالة والعيالة معاً لتدبر سبل غير نمطية للتعاطي مع تحديات الحرب وتحديد أولويات ما بعد الحرب.
- إنَّ التهديد "يمكن أن يتحول إلى ميزة" أو فرصة، على ما يرى لينين الذي ركز بصورة رئيسة على تأكيد وتعزيز الدولة وحكم الثورة بوصفهما أولوية، من دون أن يبعد أو يهمل الدوائر الأكبر أو الأوسع، أي الوضع الدولي، إذ كانت صعبةً مباشرةُ أهداف خارج الحدود طالما أنَّ الأوضاع داخل الحدود غير آمنة أو غير مطمئنة.
- تمثل العلاقة بين الإيالة والعيالة، أو بين الدولة والمجتمع، بين فواعل السياسة والقوة والمعنى وفواعل الاجتماع والاقتصاد ومتطلبات العيش، أساساً في سياسات الحرب

السورية، وقد كانت أحد مداخل تلك الحرب، بمعنى أن سورية توافرت على قابلية تلق نشطة لديناميات التغلغل والاختراق الخارجي.

- إنَّ "تجسير" أو "تدبير" الفجوة بين أهل الإيالة/الدولة وأهل العيالة/المجتمع يتطلب توافر وتضافر جهود كبيرة على هذا الصعيد، بما في ذلك تفكيك سُتُر وحُجُب الجهالة والجهل وسوء الفهم والتقدير بين الطرفين. ومراجعة نظم القيم وأنماط التفكير حول مفاهيم أساسية، مثل: السلطة والدولة والمجتمع والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية وغيرها، وقد أظهرت التحولات العملية والمقاربات النظرية والفكرية في عالم اليوم أن معنى السلطة والدولة يتطلب مراجعة عميقة وملحة، إذ لم تعد مفاهيم السلطة والقوة والمعنى على حالها.
- يبدو أن الأمر اليقيني الوحيد تقريباً في المشهد السوري هو أن الحرب سوف تستمر، وسوف يستمر السوريون في مقاومة كل أنماط الحروب الدائرة في هذا البلد المشرقي الجميل، وهي عديدة ومتداخلة، سيولة فواعل وأحداث لا حصر لها تقريباً.
- إنَّ ديناميات استمرار الحرب إقليميةٌ ودوليةٌ في المقام الرئيس، وهذا إذ يطمئن من جهة أن لا فواعل سورية كبيرة منخرطة بقوة في الحرب، إلا أنه من جهة أخرى يثير مخاوف كبيرة من أن الوزن النسبي أو الرئيس المُرجح في مسارات الأمور هو للفواعل الدولية وإلى حد ما الإقليمية.

خاتمة

تكثف العلاقةُ بين الإيالة والعيالة، أو بين الدولة والمجتمع، بين فواعل السياسة والقوة والمعنى وفواعل الاجتماع والاقتصاد ومتطلبات العيش، أساساً في سياسات الحرب السورية، وقد كانت أحد مداخل تلك الحرب، بمعنى أن سورية توافرت على قابلية تلقٍ نشطة لديناميات التغلغل والاختراق الخارجي، وكان جزء من السوريين ولا يزال ذريعةً وذراعاً للتدخل الخارجيّ الإسرائيليّ في الجنوب والتركي في الشمال والشمال الشرقيّ، علاوة على الأمريكيين من حلفائه الغربيين في شرق الفرات ومنطقة الحدود بين سورية والعراق والأردن.

إنَّ "تجسير" أو "تدبير" الفجوة بين أهل الإيالة/الدولة وأهل العيالة/المجتمع يتطلب توافر وتضافر جهود كبيرة على هذا الصعيد، بما في ذلك تفكيك سُتُرِ وحُجُبِ الجهالة والجهل وسوء الفهم والتقدير بين الطرفين. ومراجعة نظم القيم وأنماط التفكير حول مفاهيم أساسية، مثل: السلطة والدولة والمجتمع والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية وغيرها، وقد أظهرت التحولات العملية والمقاربات النظرية والفكرية في عالم اليوم أن معنى السلطة والدولة يتطلب مراجعة عميقة وملحة، إذ لم تعد مفاهيم السلطة والقوة والمعنى على حالها.

لا نريد أن نذهب بعيداً في هذا الباب، لكن حسبنا أن ندقق في واحد من تلك التغيرات، وهو مفهوم السلطة مثلاً، إذ إنه لم يعد متمركزاً بيد الدولة، على ما يقول ميشيل فوكو، وهذا ينسحب على معاني السياسة والقوة والهوية والانتماء وغيرها، وهذا ما خبرناه عملياً، بل وكارثياً، في الحرب السورية. وهذه دعوة لمزيد من البحث والتدقيق على هذا الصعيد.

يبدو أن الأمر اليقيني الوحيد تقريباً في المشهد السوري هو أن الحرب سوف تستمر، وسوف يستمر السوريون في مقاومة كل أنماط الحروب الدائرة في هذا البلد المشرقي الجميل، وهي عديدة ومتداخلة، لا نتحدث عن "حرب بين الحروب"، كما يصفها الإسرائيليون وحلفاؤهم، إنما عن حروب تُولِّدُ حُروباً، فصول تعقبها فصول، سيولة فواعل وأحداث لا حصر لها تقريباً، ومن ضمنها مكابدة تزايد الضغوط الخارجية والداخلية، وتزايد إخفاق جانب كبير نسبياً من السياسات[51].

[51] عقيل سعيد محفوض، "ما بعد الحرب هو الحرب"، مرجع سابق.

وقد وصف سلافوي جيجيك الحرب في سورية بأنها "صراع زائف"، بمعنى أن "لا موضوع" سوريّاً للصراع، أو لا فواعل سورية حاضرة على طرفي الصراع. ويمكن القول –بشيء من التعميم الحذر– إنَّ البعد السوري هو أقل الأبعاد حضوراً وتأثيراً في الحرب الدائرة اليوم، ما يحيل إلى أن ديناميات استمرار الحرب هي ديناميات إقليمية ودولية بصورة رئيسة، وهذا إذ يطمئن من جهة أن لا فواعل سورية كبيرة منخرطة بقوة في الحرب، إلا أنه من جهة أخرى يثير مخاوف كبيرة من أن الفواعل الدولية وإلى حدٍّ ما الإقليمية هي المتحكمة بالحرب.

إن التغيير مرهون بالإرادة والاستعداد للفعل، بل الإقدام على الفعل حقاً وواقعاً، بدءاً من مراجعة المدارك والسياسات، إلى إقامة جسور التواصل والتراسل والتفاعل بين الإيالة والعيالة أو الدولة والمجتمع.

لن يتغير ميزان الحرب بصورة تلقائية لصالح سورية، وإن مجرد الأمل والتفاؤل لن يفعل شيئاً جِدِّيّاً على هذا الصعيد، بل سوف يفاقمه ويزيد في تأثيراته وتداعياته الخطيرة. إن التغيير مرهون بالإرادة والاستعداد للفعل، بل الإقدام على الفعل حقاً وواقعاً، بدءاً من مراجعة المدارك والسياسات، إلى إقامة جسور التواصل والتراسل والتفاعل بين الإيالة والعيالة أو الدولة والمجتمع، إذا كان لا يزال ثمة فرصة لفعل شيء قبل أن يصدمنا قطار جيجيك.

ونختم مع عبارة لبطل قصة شهيرة لفولتير بعنوان "كانديد"، تقول: "يجب أن نزرع حديقتنا"، لن يزرعها لنا أحد، ولن يقو م أحد بما يجب علينا نحن أن نقوم به بأنفسنا.

المراجع

الكتب

1. أغامبين، جورجيو. **المنبوذ: السلطة السيادية والحياة العارية**. ترجمة وتقديم وتعليق: عبد العزيز العيادي. بغداد –بيروت: منشورات الجمل، ط 1، 2017.
2. أغامبين، جورجيو. **حالة الاستثناء، الإنسان الحرام**. ترجمة: ناصر إسماعيل. القاهرة: مدارك للأبحاث والنشر، 2015.
3. بك، أولريش. **مجتمع المخاطر العالمي: بحثاً عن الأمان المفقود**. ترجمة: علا عادل وآخرون. القاهرة: المشروع القومي للترجمة، ط 1، 2013.
4. جيدنز، أنتوني. **علم الاجتماع**. ترجمة: فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.
5. دوركهايم، إميل. **الانتحار**. ترجمة: حسن عودة. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011.
6. دولوز، جيل. **المعرفة والسلطة: مدخل لقراءة فوكو**. ترجمة: سالم يفوت. بيروت-الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط 1، 1987.
7. ديروش، هنري. "سوسيولوجيا الأمل"، في: دانيال هيرفيه ليجيه وجون بول ويلام، **سوسيولوجيا الدين**. ترجمة: درويش الحلوجي. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2005.
8. رولز، جون. **العدالة كإنصاف: إعادة صياغة**. ترجمة: حيدر حاج إسماعيل. مراجعة: ربيع شلهوب. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.
9. ريكور، بول. **الانتقاد والاعتقاد**. ترجمة: حسن العمراني. الدار البيضاء: دار توبقال، ط 1، 2011.
10. سعيد، إدوارد. **الثقافة والامبريالية**. ترجمة: كمال أبو ديب. بيروت: دار الآداب، ط 1، 1997.
11. سماحة، جوزيف. **سلام عابر: نحو حل عربي للمسألة اليهودية**. بيروت: دار النهار، 1993.

12. فوكوياما، فرانسيس. **الثقة: الفضال الاجتماعية وتحقيق الازدهار**. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ط 1، 1998.

13. فيريليو، بول. **السرعة والسياسة: من ثورة الشارع إلى الحق في الدولة**. ترجمة: محمد الرحموني. بيروت: شبكة الأبحاث العربية، 2017.

14. كنفاني، غسان. **الباب**. مسرحية. قبرص: مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، منشورات الرمال، ط 2، 2014.

15. هوركهايمر، ماكس. **النظرية التقليدية والنظرية النقدية**. ترجمة: ناجي العونلّي. بغداد-بيروت: منشورات الجمل، ط 1، 2015.

16. وانت، كريستوفر كول مع بييرو. **مدخل إلى سلافوي جيجيك**. ترجمة: حسام الدين محمد. روما: منشورات المتوسط، 2016.

الدراسات

1. الزين، محمد شوقي. **الإيالة والعيالة: نحو تأويلية في اعتبار سؤال السياسة**. دراسة. الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، آب/أغسطس 2014.

2. محفوض، عقيل سعيد. **إعادة التفكير في الدولة: قراءة في ضوء الأزمة السورية**. دراسة. دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، آذار/مارس 2019.

3. ..... **الجبهة الجنوبية: هل تسعى إسرائيل لتعديل اتفاق الفصل 1974؟**. دراسة. دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تموز/يوليو 2018.

4. ..... **رايات بيضاء: حول سياسة المصالحات والتسويات في الأزمة السورية**. دراسة. دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

5. ..... **سورية والكرد: بين المواجهة والحوار، أي أجندة ممكنة؟**. دراسة. دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تموز/يوليو 2018.

6. ..... **ضفدع نيتشه؟ مقاربات معرفية في قراءة الأزمة السورية**. دراسة. دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تشرين الأول/أكتوبر 2017.

الدوريات

- عطية، أحمد عبد الحليم. "سلافوي جيجيك المهاجر إلى صحراء الإيديولوجيا"، **مجلة الاستغراب** (بغداد)، العدد 6، السنة 2، شتاء 2017.

المواقع الإلكترونية

1. "إغلاق «القناة» بوجه الإمدادات النفطية: السيسي شريكاً في حصار سوريا"، **جريدة الأخبار**، 11 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2JdodCd
2. "اقتنص النهار: ميراث لينين - سلافوي جيجيك"، ترجمة: هشام روحانا، **الحوار المتمدن**، 29 كانون الأول/ديسمبر 2013.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=393646&r=0
3. "أنقرة: مطالبة تركيا بتسليم المناطق التي سيطرت عليها في سوريا أمر غير واقعي"، **سبوتنيك**، 18 نيسان/أبريل 2019. https://sptnkne.ws/mxR6
4. "سلافوي جيجك يكتب لينين في عام 1917: إنَّ عبقريته تكمن في قدرته على تجاوز المسار النموذجي للثورات"، ترجمة: أحمد الزبيدي، **جريدة المدى**، 5 آذار/مارس 2017.
https://almadapaper.net/Details/169330
5. "ظريف: علاقاتنا مع تركيا اليوم لا مثيل لها منذ عقود"، **عربي 21**، 18 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2vSCQC1
6. "ظريف: نسعى لإعادة علاقات دمشق مع أنقرة"، **روسيا اليوم**، 17 نيسان/أبريل 2019.
http://bit.ly/2VVbkm9
7. "كلمة الرئيس الأسد خلال استقباله رؤساء المجالس المحلية من جميع المحافظات السورية"، **سانا**، 17 شباط/فبراير 2019. https://sana.sy/?p=897175
8. "وزارة النفط السورية تكشف السبب الحقيقي لأزمة البنزين"، **روسيا اليوم**، 17 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2Q4ETfK
9. جيجك، سلافوي. "سلافوي جيجيك بين أوهام الأمل وشجاعة اليأس"، ترجمة: حسن الحجيلي، **موقع ساقية**، دون تاريخ. http://bit.ly/30c5Anl
10. جيجيك، سلافوي. "سيأتي كَلِصٍّ في الليل: سلافوي جيجيك ووهم الأمل"، ترجمة: حسن الحجيلي، **موقع حكمة**، 24 نيسان/أبريل 2018. http://bit.ly/2WEG8Vc
11. الشوفي، فراس. "حصار سوريا: حرب «التركيع» والانتقام"، **جريدة الأخبار**، 18 نيسان/أبريل 2019. https://al-akhbar.com/Syria/269508

12. صقر، كامل. "نفط مفقود وصور طوابير تتكرر... روسيا وإيران في قفص الأسئلة السورية"، **القدس العربي**، 18 نيسان/أبريل 2019. http://bit.ly/2Yo25Z4

13. محفوض، عقيل سعيد. "شرايين سورية المفتوحة"، **مركز دمشق للأبحاث والدراسات**، 1 كانون الأول/ديسمبر 2018. http://bit.ly/2DZZ2yA

14. ..... "ما بعد الحرب هو الحرب"، **مركز دمشق للأبحاث والدراسات**، 15 آذار/مارس 2019. http://bit.ly/2Q0PUOR

15. ..... "مزاولة المستحيل! تحرير الكرد من الرهان على الأمريكي ومن الارتهان له"، **مركز دمشق للأبحاث والدراسات**، تشرين الثاني/نوفمبر 2018. http://bit.ly/2vSpe9M

المعاجم

- صليبا، جميل. **المعجم الفلسفي**. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ج 1، 1982.

باللغة الإنكليزية

- Žižek, Slavoj. "Like a thief: Slavoj Žižek and the illusions of hope", by Julius Gavroche, *autonomies*, 4 January 2018. http://autonomies.org/2018/01/like-a-thief-slavoj-zizek-and-the-illusions-of-hope/

عقيل سعيد محفوض

- كاتب وأستاذ جامعي.
- تتركز اهتماماته العلمية حول المنطقة العربية وتركيا وإيران والكرد.
- عضو الهيئة العلمية في مركز دمشق للأبحاث والدراسات – مِداد.
- يكتب تحليلات ومقالات رأي في عدد من المنابر الإعلامية والسياسية والبحثية.
- **صدر له:**
- **كتب**

- **جدليات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسة العسكرية والسياسة العامة**، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2008).
- **سورية وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009).
- **السياسة الخارجية التركية: الاستمرارية – التغيير**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).
- **تركيا والأكراد: كيف تتعامل تركيا مع المسألة الكردية؟** (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).
- **تركيا والغرب: "المفاضلة" بين الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة**، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2013).
- **الأكراد، اللغة، السياسة: دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).
- **خط الصدع؟ في مدارك وسياسات الأزمة السورية** (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2017؛ بيروت: دار الفارابي، 2017).
- **كورد نامه: في أسئلة السياسة والحداثة لدى الكرد** (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2018؛ بيروت: دار الفرقد، 2018).

- **مخطوط:**

- **الأمن في عصر الحداثة الفائقة: المفاهيم، الأبعاد، التحولات**، (مخطوط تحت النشر).
- **ليفياثان المشرق**: حول نشوء "الدولة الوطنية" أو "دولة ما بعد الاستعمار" في سورية، مقاربات تفسيرية، (مخطوط).

- **دراسات وأبحاث**

- **سورية وتركيا: "نقطة تحول" أم "رهان تاريخي"؟** (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012). (إلكتروني).
- **الحدث السوري: مقاربة "تفكيكية"**، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012). (إلكتروني).
- **الخرائط المتوازية: كيف رسمت الحدود في الشرق الأوسط؟** (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).
- **دروس الحرب: أولويات الأمن الوطني في سورية، مقاربة إطارية**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).
- **صدوع الجزيرة: في تحديات وتحولات المسألة الكردية في سورية**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).
- **مفهوم الأمن: مقاربة معرفية إطارية**، (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، 2016).
- **مراكز التفكير: المحددات، الكيفيات، التحديات**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2017).
- **القنفذ والثعلب: الولايات المتحدة إزاء الأزمة السورية**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2017).
- **العنف المقدس: في الأسس الثقافية لعنف الجماعات التكفيرية**، (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، 2017).

- **ضفدع نيتشه؟ مقاربات معرفية في قراءة الأزمة السورية**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2017).
- **حيث يسقط الظلّ! الولايات المتحدة إزاء الأزمة السورية**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2018).
- **عودة المسألة الشرقية تحولات السياسة والدولة في الشرق الأوسط**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2018).
- **سُوريّة والكُرد: بين المُواجَهَة والحوار، أي أَجِندة مُمكِنَة؟**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2018).
- **الجبهة الجنوبية: هل تسعى إسرائيل لتعديل اتفاق الفصل 1974؟**،(دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2018).
- **رايات بيضاء: حول سياسة المصالحات والتسويات في الأزمة السورية**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2018).
- **استلاب الكرد: صورة مشروع "قوات سوريا الديمقراطيّة"، ولادتها وموتها!**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2019).
- **إعادة التفكير في الدّولة: قراءة في ضوءِ الأزمة السوريّة**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2019).
- **التفكير في الجولان: المدارك النمطية، وإكراهات الحرب، والمقاومة الممكنة؟**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2019).

- **أوراق بحثية في مؤتمرات أو كتب جماعية:**

- **"العرب في تركيا": محور تواصل أم تأزيم؟** بحث في مؤتمر العرب وتركيا نُشِرَ في كتاب جماعي (2012).
- **سياسات إدارة الأزمة السورية: "الإدارة بالأزمة"؟** بحث في كتاب جماعي، (2013).

- **الشرق الأوسط بعد 100 عام على الحرب العالمية الأولى: من "المسألة الشرقية" إلى "الدولة الفاشلة"، هل هناك سايكس-بيكو جديد؟** (مؤتمر بيروت 19 -22 شباط/فبراير، 2015).
- **من المظلومية إلى الفعل: تحديات فواعل المقاومة في عالم ما بعد الأحدية الغربية**، في مؤتمر: (غرب آسيا في عالم ما بعد الأحادية الغربية: تحديات المرحلة الانتقالية، بيروت، 7 أيلول/سبتمبر 2017).
- **في ثقافة الكراهية: الظاهرة الدينية، الحرب، التوحش**، (المؤتمر الدولي الأول لحوار الأديان، بيروت، 12-13 أيلول/سبتمبر 2017).
- **العبور إلى الهوية: في الاستجابة الممكنة لتحديات ما بعد الحرب في سورية**، (مؤتمر الهوية الوطنية: قراءات ومراجعات في ضوء الأزمة السورية، دمشق، 20-21 كانون الثاني/يناير 2018).
- **إعادة التفكير بالدولة في حالات ما بعد الحرب: قراءة في ضوء الأزمة السورية**، (المؤتمر الثقافي السوري، دمشق، 16-17 كانون الأول/ديسمبر 2018).

مداد
مركز دمشق للأبحاث والدراسات
Damascus Center For Research and Studies

سورية – دمشق – مزة فيلات غربية – خلف بناء الاتصالات – شارع تشيلي – بناء الحلاق85

Damascus - syria
Tel: +963 116 114 776
Fax: +963 116 114 731

www.dcrs.sy
info@dcrs.sy